

العقيدة والبرهان فى التاريخ

إعداد

حمدى عبد الرزاق

مكتبة وهب

١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

حقوق الطبع محفوظة

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر) . غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه ، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية ، أو ميكانيكية ، أو نقله بأى وسيلة أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله على أى نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف .

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة لابد منها :

العقيدة هى ما لا يشك معتقده فيه، وهى الثابت الذى لا يتغير ولا يمكن تحويله، وهى ما أحكم عقده فلا ينفك أو ينحل . والبرهان هو الحجة البينة والدليل الواضح الفاصل الذى لا يمكن ضحده .

وفى عالمنا هذا الكثير من المعتقدات التى نعتقدها ونثق فيها وهذه المعتقدات غير العقيدة الدينية أو الملة فالدين لا يحتاج إلى برهان وإنما إلى الإيمان فقط، أما هذه فتحتاج إلى برهان لها يعززها ويقوى الاعتقاد بها .

ومن هذه المعتقدات : العلوم فى شتى مجالاتها البحثية كالطب والهندسة والكيمياء... إلخ

والتاريخ أحد هذه العلوم التى نعتقد فيها ونركن إلى ما يقدمه لنا فى الكثير من شئون دنيانا إلا أن الطبيعة الخاصة لعلم التاريخ قد جعلته مميزاً بين بقية العلوم، حيث إنه العلم الوحيد الذى يعنى بالماضى ويهتم به وبكل ما يحمله بين صفحاته من أحداث سبق حدوثها بحثها وهو يهتم بكل ما فعل الإنسان أو تعرض له على مدى عمره على الأرض لذا يفضل الكثيرون أن يسموه ويطلقوا عليه « ذاكرة الإنسانية » .

ولهذه الطبيعة نجد أن موضوع البحث فى التاريخ غير موجود حقيقى... بمعنى أن الحدث ذاته قد حدث وانتهى وصار ذكرى وقد يكون أو يتواجد بعض من لهم علاقة بالحدث سواء الفاعلون له أو من وقع عليهم الحدث ولكنه فى كل الأحوال - أى الحدث - قد فنى وإنتهى إلا ما خلفه من آثار مادية كانت أو معنوية .

وفى حين أن كل العلوم الأخرى تمتلك موضوع البحث بين يديها تقلبه كيفما تشاء . وتقوم فيه بشتى وسائل البحث والتجريب أو حتى الافتراض حتى

تحصل على بغيتها إلا أن هذا غير متاح أو ممكن فى البحث التاريخى أو علم التاريخ حيث إنه يقر بما هو كائن بالفعل وليس للباحث أى حق فى تجربة أو فرض شئ فهو بذلك يخرج عن منهج التاريخ ويضعه فى قوالب لا علاقة له بها ذلك أن الحدث إما حدث بالفعل أو لم يحدث وليس هناك ثمة احتمال آخر فإنه وضع فروض ما أو احتمالات من فكر الباحث تجعله ينظر إلى الماضى بعين الحاضر ويضعه فى المعيار الذى لا علاقة له، فبين الماضى والحاضر الكثير من الاختلافات .

وعلم التاريخ هو علم الحقيقة البينة لذا وجب على الباحث فيه أن يضع كل معلومة تصل إليه موضع الاختبار الشاق حتى يتم التأكد من صحتها ودقتها لترقى إلى مرتبة المعلومة التاريخية .

ولعل أهم ما تم معرفته فى التاريخ - علم التاريخ - معرفة التاريخ القديم للشعوب من أمثال مصر والصين والعراق ... الخ ومثيلاتها من شعوب الحضارات القديمة .

وكان لمعرفة هذه الحقبة الزمنية المبكرة من عمر البشرية وما حدث فيها من أحداث وتطورات لسلوك الإنسان وفكرة الأثر البالغ فى نقص أصول الشعوب ومعرفة كيف كانت وكيف صارت .

تأتى حضارة مصر القديمة كإحدى هذه الحضارات ويراهنا أغلب المختصون أهم هذه الحضارات على الإطلاق لما أذهلت به العالم من فرط التطور والتقدم الذى نعم به المصرى القديم فى فجر البشرية وفى حين كان أغلب أمثاله فى شتى بقاع الأرض يركن إلى الأرض فلها يقيم بناء أو يغرس غرساً كان هو يبني أهراماً ومعابد وينظم الزراعة والرى ويفتح أبواب الطب والكيمياء له ولغيره .

الحضارة المصرية القديمة كما تدل آثارها مما خلف المصرى القديم هى حضارة علمية يزخر بالعمارة والطب والكيمياء والفلك وغير ذلك من العلوم والتى ما زال الكثير مما قد توصل إليه المصرى القديم لغزاً حتى يومنا هذا طلسماً محيراً أمام علماء القرن الحادى والعشرين لكن ...

لكن الشئ الغريب حقاً برغم هذا كله تظهر حضارة المصري القديم فى شكل أقاصيص وحكايات لا تتعرض إلى هذه الحياة العلمية فى شئ وفى حين أن الحضارة المصرية لم تخلف أسطورة يتناقلها الناس كالإلياذة مثلاً عند الإغريق ظهرت أن كل ما تحويه هذه الجدران والبرديات مجرد حكايات . وعلى عكس الشائع من الاعتقاد فى أن كل هذه الأقاويل هى التاريخ الحقيقى لمصر فى بداية الحياة فإن الاعتقاد الذى تقدمه هذه الصفحات غير هذا وتبرهن على أن كل هذه الحضارة وذاك التاريخ بكامله ما هو إلا ضرب من الدجل والتكهن ولم يكن بحثاً كشفياً فى تاريخ مصر أو حضارتها .

فالأقاويل تتضارب حتى يومنا هذا وهناك الكثير الذى يختلف فيه علماء المصريين فى العالم وتباين فيه آراؤهم وفى هذه التباينات الكثيرة ملعباً خصباً لم يرد أن يذكر كل هذه الأخبار إلا أننا لا ننظر إلى هذا بل سنتجه مباشرة إلى نقاط الاتفاق التى يجمع الكل على صحتها وصواب أمرها وأعتبرها المختصون ركائز أساسية فى التاريخ المصرى القديم ومنها آلهته المصرى القديم التى عبدها واعتقاده فى البعث والحساب وتتابع الأسرار عليه واختاتون وما إلى ذلك مما يتفق عليه ويراه المختصون يقينا لا شك فيه .

أى أن إنكار هذا التاريخ المزعوم صار عقيدة وما تحويه هذه الصفحات هو البرهان على ذلك .

* فى فهم اللغة

معرفة اللغة المصرية القديمة والتى استخدمها المصري القديم كان المفتاح الذى فتح الباب عن الحضارة المصرية لتخرج إلى العالم ويعرف كيف كانت حياة هؤلاء الذين أرسوا قواعد أول حضارة عرفت الإنسانية . ولكن هل تم حقاً معرفة اللغة المصرية القديمة وفك رموزها؟؟

للإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى معرفة نقاط عدة عن ظروف وأحوال البحث الذى قام به « شان ليون » وما هى الفرصة المتاحة لإدراك الصواب طبقاً لما اتبعه فى بحثه .

وقبل هذا لزاماً علينا التعرف على اللغة من حيث المدلول والخصائص التي تتميز بها كعلم له قواعده الخاصة والتعرف كذلك على قواعد الترجمة والنقل بين اللغات .

ولأن اللغات كثيرة وعديدة ومتباينة في قواعدها ستكون الإشارة إلى خصائص عامة في كل لغات الأرض قديمها وحديثها .

* اللغة

في المعجم اللغة هي : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » .
ويقال عنها مجازاً « لسان » فإن قلنا « لسان العرب » فإننا نعني اللغة العربية ولسان الإغريق يدل على الإغريقية ...

وكلمة « أصوات » هذه التي جاءت في تعريف اللغة يوضح لنا أن اللغة نتاج مجموع من الأصوات تتجمع وتشكل الكلمات والتي بدورها تصنع الجمل والعبارات ، واللغة أصيلة في التكوين الإنساني فالإنسان منذ خلق متكلم ولم يكن يوماً بلا كلام أى لغة فالكلام وسيلة التعبير لديه سواء في التواصل مع أمثاله أو في مناجاته لربه .

وذكر كلمة « قوم » يدل أن اللغة لا بد أن تكون في جماعة مجتمعة فلا يمكن لأى إنسان منفرداً أن يتحدث لغة أو يتكلم بها دون مشاركة غيره له وكذلك تدل هذه الكلمة أن هذا الجمع يتصف بالقومية أى مجتمع يتشارك في المسكن والمأكل والحياة بكل أشكالها .

وعادة ما يطلق على اللغة اسم مشتق من الذين يتحدثون بها ويتكلمونها فاللغة العربية لغة العرب والهندية لغة الهنود .. إلخ . والعكس لا يصح فلا يجوز أن نطلق اسماً مشتقاً من اللغة على هذا الجمع أو القوم .

وهذه اللغة الأصيلة في التكوين الإنساني أثارت في الإنسان الرغبة في جعل هذه الأصوات في أشكال وصور تعبر عنها يحتفظ بها ويتناقلها ويدون من

خلالها ما يريد وما يخشى عليه من النسيان وهكذا ظهرت الكتابة والتي تابعت مراحل تكوينها من الأشكال والرموز إلى الأبجدية والتي استهلكت من عمر البشرية الكثير حتى تصل إلى ما هي عليه الآن .

لذا لزم أن نوضح أن اللغة هي فقط الصوت وليست الشكل الأبجدي بمعنى أنها هي اللفظ المنطوق المسموع لا الشكل المرسوم وهذا لكون الشكل الأبجدي أو الرمزي ما هو إلا تابع للأصل المنطوق «الصوت» .

ومثالاً لذلك فإن العربى الذى يتحدث العربية يقرأ «أنا» فإنه وإن لم يتلفظ بها يسمع هذا الصوت داخله يقول «أنا» وكذلك الانجليزى يقرأ «I» فيسمع نفس الصوت يقول «آى» والتي تعنى أنا بالعربية والفرنسى يقرأ «Se» فيسمع داخله «جى» وهكذا فى سائر الألسن واللغات .

أما فى حال ما أن يكون من يتكلم أساساً لغة ما ويقرأ غيرها فمثلاً العربى عندما يتعامل مع اللغات الأخرى يرجع إلى لغته الأصلية . فعند قراءته «I» فإن الصوت يقول «أنا» بمعنى إن اللغة الأصلية لديه هي المعيار لإدراك المعنى والوضع يكون معكوساً للذى يتكلم الانجليزية أصلاً .

فالتكوين الأساسى للغة هو الكلمة وليست الحرف الأبجدي فالحروف الأبجدية ظهرت ضمن أطوار الكتابة وذلك بجعل لكل صوت صورة وشكلاً خاص به أما الكلمة فهي قائمة ما دام الانسان فالانسان منذ أن خلق وهو يتكلم ويتحدث دون أن يعرف الحرف الأبجدي ولكن ابتدع ذلك وصنع تلك الحروف فقد قام بتقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية وأتخذ لكل صوت منها شكلاً خاصاً به واسم له .

مثال ذلك «أوب وج و د» «ABCD» وسمى هذه الحروف (الف – باء – جيم – دال) ايه بى سى اتش دى وطبعاً كل حرف يعبر عن صوت يدل عليه فى القراءة ويعبر عنه فى الكتابة .

وهذا الشكل الأبجدي ليس القاعدة لأن اللفظ الصوتى هو القاعدة وهذا

يحدث فى تناقل وترجمة الأسماء مثل «Aswan اسوان» سيد «Said» بمعنى أنه يمكن استخدام أى أبجديه للتعبير عن اللغة وإدراك المعنى منها لكن العكس لا يمكن حدوثه بمعنى أنه لا يجوز قراءة كلمة مكتوبة بلغة ما إلا بذات اللفظ فى هذه اللغة فكلمة «Night» لا يجوز نطقها «ليل»، أو «Soin» «سواء» ولو أن المعنى واحد ذلك لكون الرسم أو الكتابة مقصود به صوت واحد وهو «ثابت» ولو يعنى المعنى المراد فهو مختص بالصوت فقط وعلى التفضيل يمكننا كتابة «ليل» باستخدام البجدية الانجليزية «Lail» أو باستخدام أى ابجديه نريد أو حتى استحداث أبجدية أخرى لكن الشئ الغير مسموح به هو استبدال الالفاظ لأنه إذا ما حدث ذلك يترتب عليه استبدال اللغة ككل .

وهكذا نرى أن اللغة هى الصوت أو الالفاظ الصوتيه فقط أما الكتابة فهى التعبير عن هذه الأصوات والالفاظ ليس إلا .

* قواعد اللغة وأصولها وكيفية النقل منها وإليها .

اللغة هى وسيلة الاتصال الأولى بين البشر جميعهم وهى وسيلة التعبير عن كل ما يدور بخلد الانسان لذا يلزمها أن تحكم بقانون ونظام يحددان أسلوب التكلم بهما وكذلك إطار لا تخرج عنه ولا تحيد حتى تصبح بذلك وسيلة جيدة للتعبير والاتصال وهذا القانون أو النظام هو الذى يتلقاه الانسان فى مستهل عمره وغرة حياته يتلقاه من حوله بمن يعيشون معه وتدرجياً وشيئاً فشيئاً حتى يتقن المرء هذه اللغة وبدون أن يشعر بذلك . ولكل لغة قواعد لها الخاصة التى تحكمها وتشكلها وتميز بها حتى وإن تشابهت هذه القواعد أو تلك فى أحد اللغات الأخرى .

وهذه القواعد كثيرة ومتعددة تشمل كل ما يتعلق باللغة من قواعد الجمع والإفراد والتذكير والتأنيث والضمائر حتى ترتب الجملة ووضع الفعل والفاعل والمفعول فيها كل هذا أو أكثر له من القواعد التى تحدد أسلوب وطريقة التعامل مع أى منها .

ففى العربية يجمع الاسم بإضافة «ون» للمذكر و «ات» للمؤنث أما فى الانجليزية أو الفرنسية وعموم اللغات اللاتينية فتكون الجمع مثلاً بإضافة «S» وتبدأ الجملة فى العربية إما بفعل وتصير فعلية أو باسم وتكون اسمية أما فى اللغات الأخرى وعلى سبيل المثال اللاتينية مثلاً فهى اسمية دائماً والضمائر فى العربية تكون إما موصولة أو منفصلة ولكنها ودائماً منفصلة فى لغات اللسان اللاتينى عموماً.

فمثلاً جملة «قتل أحمد سيد» يصعب ترجمتها بهذا الشكل دون ضبط والضبط هو وضع العلامات الصوتية فوق الأحرف والتي توجد فى العربية ولا توجد فى الانجليزية مثلاً فهذه الجملة يمكن أن تترجم:

Ahmed Said hasbeen & Said Kiued Ahmed & Ahmed Kiued Said

ولكن بضبطها هكذا «قتل أحمد سيد» تصبح الترجمة الأولى صحيحة أما لو ضبطت هكذا «قتل أحمد سيد» تصبح الثانية هى الصحيحة ولو ضبطت بهذا الشكل «قتل سيد أحمد». تكون الأخيرة هى الصحيحة وهذا شئ هين ضمن الكثير مما يعيق عمليات الترجمة بين اللغات.

وهذا وما يصنع بعض اللبس جملة مثل «يذهب سيد إلى البيت» فترجمها بالانجليزية «Said goes to the hume» وهذه الترجمة إذا تعرض لها من لا يعرفون قواعد ترتيب الجملة سواء فى العربية أو الانجليزية فإنه ولا محال سيظهر ان «يذهب Said» «وسيد goes» فالذى لا يعرف الانجليزية يظن أن «يذهب Said» فعل مضارع و «goes» اسم علم وهكذا وهذا هو أحد أشكال اللبس الذى يقع فيه من لا يدرك بعض أو أحد القواعد فى اللغة.

وهذه بعض أشكال الأخطاء التى تحدث نتيجة عدم ادراك وفهم قواعد اللغة سواء المنقول منها أو إليها ولو استعرضنا بقية أشكال الأخطاء التى قد تحدث فلن ينتهى بنا الأمر فإن لكل لغة أغوارها الرقيقة.

والشئ الثابت أن اللغة بناء متكامل ولا يجوز العبث به أو إتاحة فرصة للافتراض فيها والظن فى البحث فى أى من قواعدها فإن اختلت أى قاعدة اختلت اللغة بكاملها.

الأصوات المسموحة :

والمقصود بالأصوات المسموحة هنا هي جملة الأصوات التي يستخدمها المتحدث بلغة ما فاللغة العربية مثلاً تزيد عن جملة الأصوات المستخدمة في كل لغات الأرض قديمها وحديثها بصوت «ض» وتفتقر لغة مثل الانجليزية إلى صوت مثل «خ» «ج» «ع» «ض» «ق» وأصوات أخرى وبناء على هذا فإن أى كلمة تحتوى على أى من هذه الأصوات لا يمكن أن تنسبها إلى اللغة الانجليزية.

والعبرة هنا ليس بالحرف ولكن بالصوت فإن اللغة الصينية يبلغ عدد الأحرف فيها نحو ثلاثة آلاف حرف ولكنها تقل في عدد الأصوات عن اللغة العربية ذلك لأن هناك صوت يمكن أن يعبر عنه بأكثر من حرف في صوت «ى» يقابله في الانجليزية «I أو y» وصوت و(يقابله (W . U . O) وهكذا.

وكذلك فرغم عدم وجود حرف يعبر صراحة عن صوت ال «ش» في الانجليزية إلا إنه صوت موجود ومستخدم وتم صنع تكوين من حرفين له وقت ظهورهما ندرك أنه هو المقصود «Ch . Sh» وكذلك صوت «ث» فهو يظهر بإجتماع (Th) وهو أيضاً حدوث أصل في ذات اللغة وهذا التزاوج والاجتماع بين الحرفين هو المعبر عن الصوت شرط أن يكون على ذات الترتيب وإن إختل هذا الترتيب لا يكون معبراً عن ذلك الصوت ويعود كل حرف إلى التعبير عن الصوت الأصلي الذى يعبر عنه منفرداً، وكما يختلط الناس تختلط الألسن واللغات ولكن هذا الاختلاط عادة لا يكون متعادلاً أو متكافئاً ذلك لأن باللغات تتباين الأصوات ومثال ذلك أن الأصوات (ق، ع، ح، خ) توجد في العربية ولا توجد في الانجليزية لذا عند حدوث إتصال بين لسان عربى وآخر انجليزى فإن الثانى يبحث في الأصوات عنده في لغته مما يكون عوضاً عن تلك التى في العربية والتي لا يستطيع نطقها والذى يبحث عنه هو ما يجارى هذا الصوت قاقرب ما يكون وليس الحرف فالصوت «ع» يمكن أن يظهر على أنه «A أو E أو O» حسب حالاته كما في «عماد يصبح E» وعلى يصبح A «وعثمان يصبح O» وهكذا

يتضح أن التعرف يحدث مع الصوت وليس الحرف وعلى هذا النمط يتم التعامل مع بقية الأصوات فبدلاً من «ق» يوضع «K» مثل Kassem وعن «ح» أو «H» مثل حسن Hassan .

(خ) Kh مثل خالد «Khaled» وهكذا ...

وهذه العملية كانت محاولة لوضع أصوات من ذات اللغة للاستعاضة عن تلك التي ليست فيها ومع هذا فإن الأصوات المسموحة في اللغة لم تزد أى أنه لم نحصل على الصوت الأصلي .

ومغزى ذلك أن اللغة سجيئة أصواتها ومهما حدث من احتكاك وتفاعل فإن اللغة ستظل في مدار هذه الأصوات ولم تخرج عنها ولن تخرج بمعنى أن هذه الأصوات هي التي تتحكم في تكوين وتشكيل الألفاظ والكلمات في اللغة ولا بد من إدراك هذه الأصوات ومعرفتها معرفه تامة لكي يحدث إضافة . صوت ليس فيها أو نسيان صوت أصيل فيها .

* الصياغة الخاصة .

وهي عملية لصياغة بعض الأسماء العلم مثل أسماء الدول أو المدن أو أسماء الأشخاص وذلك بصياغة خاصة لا تركز إلى أصول النقل أو الترجمة مثال «المانيا» «german» ... وهكذا وفي حالات يكون أسلوب الصياغة مختلفاً تماماً عن الاسم الأصلي مثل «مصر» «Egypt» واليونان «gcece» ويحدث هذا أيضاً في بعض الأسماء الخاصة بأشخاص مثل «إبراهيم - يوسف - موسى - يعقوب - عيسى» .

هذه بعض أسماء لأنبياء الله عليهم السلام أجمعين وهذه أسماءهم في اللغة العربية ولكن هذه الأسماء تختلف في العربية فتحيرها على هذا الشكل «ابراهيم - جوزيف» - موش - اسرائيل - يسوع» وهنا يظهر إختلاف بسيط في البعض مثل «ابراهيم - ابراهام» وأيضاً إختلاف جذرى بين البعض مثل «يعقوب - إسرائيل» وعلى هذا فإن اللغة العربية لا تعرف تلك الأسماء العبرانية ولا

تعترف بها والوضع نفسه فى العبرية . مع أن المعنى بذاك الاسم أو هذا هو نفس الشخص .

ولو أهملنا النطق الصوتى لأحد هذه الأسماء فى إحدى اللغتين وأجرينا مقابله خطيه بين هذه وتلك مع إغفال النطق فى إحداهما والاكتفاء بأسلوب النطق فى الأخرى فإننا نجد أن $ا = ع$ ، $س = ق$ ، $ر = و$ ، $ب = ي$ وبهذا يتبقى لدينا حرف «ل» .

ومما لا شك فيه أن ما حدث كان وبالطبع خطأ ولكن عمدنا لإجراء هذه المقابلة بالأحرف العربية لنوضح أن إهمال الصوت من اللفظ والاكتفاء بالرسم فقط لا يمكن أن يمنعنا من الوقوع فى الخطأ بل أن الخطأ هو القاعدة والصواب هو الاستثناء فى هذه الحالة .

مما سبق يتضح لنا عدة نقاط هامة :

أو لها : أن اللغة أصوات فقط وليست رسماً فهى أصوات مسموعة منطوقة وليست أشكالاً وحروفاً .

ثانيها : لكل لغة قواعد لها الخاصة التى تشكل وتحدد وتحكم كل ما يتعلق باللغة التى يجب أن تدر كها قبل إجراء أى تعامل معها سواء فى النقل أو الترجمة .

ثالثها : تشكل اللغة من جملة أصوات هى التى تحدد ألفاظها وعادة ما يغيب عن اللغة بعض الأصوات عن غيرها أو تزيد فى البعض لذا لزم معرفة جملة أصوات اللغة التى تشكل ألفاظها قبل التلفظ بها .

رابعها : بعض الكلمات وخاصة بعض أسماء العلم عادة ما يكون لها صياغة خاصة بها مخالفة غير لغتها الأصلية لا تتيح اللفظ الأصلى . ولا تعتمد على أصول الترجمة ولكن هى أسماء تناقلتها الألسن وتحورت إلى أن استقرت على هذا الشكل .

وهكذا يتضح لنا أن قبل التعامل مع أى لغة وخاصة عند قراءة نصوص

ومحظوظات مكتوبة بها لا بد من إدراك هذه اللغة بقواعدها وأصواتها وأسلوب الكتابة وكل خصائص هذه اللغة الكبير منها والصغير.

* الحجر والرجل

الحجر هنا هو أحد أشهر الأحجار فى العالم وهو حجر رشيد، والرجل هو أستاذ التاريخ شامبليون والذي استطاع فك طلاسم وكل رموز الحجر وقبل كل شئ لا بد من التعرف على الحجر وأيضا على الرجل.

* حجر رشيد

هذا الحجر عبارة عن كتلة من البازلت الأسود ارتفاعه ١١٤ سم وعرضه ٧٩ سم ويبلغ سمكه ٢٧ سم وقد تم العثور عليه بواسطة الضابط (بو شارد) أحد ضباط نابليون فى الحملة الفرنسية على مصر وقد وجد الضابط الحجر وبه بعض التهشم فى جوانبه وسقط عنه جزء من تحته وعلى الحجر وجدت نقوش مختلفة تتباين فى الكم والشكل وعرف من هذه النقوش الجزء الأسفل الذى يحوى كتابات إغريقية ثم عرف بعد ذلك بقية ما فيه فالجزء الأعلى والأوسط كتب باللغة المصرية القديمة ولكن بخطين مختلفين وأصبح الحجر على هذا الشكل:

الجزء العلوى وقد كتب بالخط الهيروغلىفى وتبقى لنا ١٤ سطرا.

الجزء الأوسط وهو بالخط الديموطيقى ويتكون من ٣٢ سطرا.

الجزء الأخير السفلى ومكتوب بالخط الإغريقى وفيه ٥٤ سطرا.

استولى الانجليز على الحجر عام ١٨٠١م وجعلوه فى المتحف البريطانى كإحدى تحفه الثمينة وأصبح الحجر الشهير مصدرا لجذب الكثير من العامة والعلماء للقيام بمحاولات لفهم ما فيه وفحوى ما نقش على حجر رشيد هو قرار من كهنة مصر بتكريم الملك بطليموس الخامس الذى عرف باللغة المصرية القديمة د (ايفانىس) وقد تم سرد هذا النص بواسطة الخطوط الثلاث.

ولم يكن شامبليون أول من حاول فهم وحل هذه الرموز ولكن سبقه آخرون ومن أشهرهم العالم الانجليزى «توماس يانج» وهو فيزيائى أجرى بعض المحاولات ويقال إنه توصل إلى شئ ولكن سرعان ما عزف عن إكمال رحلة البحث فى هذا الحجر.

وأيضاً كان هناك الدبلوماسى السويدى «اكرابلد» الذى أخذ خطه فى البحث ولكن سرعان ما ترك الامر وعاد إلى عمله دون أن يحدث تقدماً. واللغة المصرية القديمة مرت بأطوار مختلفة على مر تاريخها الطويل وعلى أساس هذه المراحل التى شكلت تاريخ الحياة فى مصر تأثرت أيضاً لغتهم وكتاباتهم وظهرت فى مصر أربعة أشكال للكتابة وكان لكل شكل من هذه الأشكال خصائصه ومميزاته الخاصة وهذه الأشكال والخطوط هى :

* الهيروغليفية .

وهو اسم يونانى يعنى «النقش المقدس» وهو بداية ظهور الكتابة فقد كان يهتم بتصوير ما يمكن نقله وفهمه من البيئه المحيطة ثم تطور الأمر إلى اتخاذ العلاقات الصوتية وذلك باتخاذ رموز وإشارات البعض منها يعطى صوتاً واحداً وآخر يعبر عن صورتين ومما يعطى كلمة كاملة.

* الهيراطيقى .

وهو أيضاً اسم يونانى يعنى «الكهنوتى» وقد استخدمه الكهنة لصعوبة استخدام الهيروغليفى وعدم كفايته لشئى شئونهم وقد اقتصر عليهم فلم يستخدمه العامة فى شئونهم.

* الديموطيقى .

لفظ يونانى أيضاً يعنى «الشعبى» وتبعاً لاسمه فهو الخط الذى استخدمه عامه الشعب فى شئى شئون الحياة وهو خط لا يكاد يظهر فيه الأصل الهيروغليفى من فرط بساطته ويسره.

* القبطى .

بالطبع هى كلمة يونانية تعنى « المصرى » وهذا الخط الذي استخدمه المصريون بعد دخولهم المسيحية وتم استخدامه لرغبة المصريين المسيحيين فى التخلص من آثار وبقايا الوثنية واستخدموا فيه الخط اليونانى وزادوا عليها حروفا لم تكن موجودة فى اللغة اليونانية وقد اقتصر وانحسر هذا الخط على الكنائس والاديرة .

هذه هى جملة ما أجمع عليه العلماء فى شأن اللغة المصرية القديمة بصورة مختصرة نوضح فيها شيئا ولو بسيطا عن هذه اللغة . طبقا لما ذكره المختصون فى دراسة حضاره تلك البلد العظيمه حضارة مصر القديمة .

* شامبليون .

شامبليون أو سان فرانسو شامبليون هو اسم لأشهر الذين قاموا بدراسات حول تاريخ مصر القديم ذلك لأنه هو الذى قام بوضع المقومات الأساسية لدراسة اللغة العربية القديمة والتي ظلت قبل شامبليون مجرد رسوم ونقوش لا يفهم منها شئ ولكن بعد إنجازاه الكبير أصبحت الحضارة المصرية كلها كتابا مفتوحا أمام العالم .

هذا الرجل الذى كان يعمل وقتئذ أستاذاً للتاريخ فى جامعة جبرينويل لكن أهم ما كان يتميز به شامبليون هو قدرته على تعلم اللغات فقد استطاع أن يتقن العربية والعبرية فى سن مبكرة وتعلم أيضاً القبطية والسكندرية والفارسية وكذلك اللاتينية والإغريقية وهو بذلك قد أدرك أشهر اللغات وأكثرها شيوعاً فى العالم سواء القديم أو الحديث وهكذا فقد استمر شامبليون فى محاولات فك الطلاسم وحل الرموز من حجر رشيد ما يقرب من عشر سنوات وقد ذكر أنه استطاع أن يستخرج المقاطع الصوتية التى يدل بعضها على صوت واحد والبعض الآخر يعطى أكثر من صوت وأيضاً هناك ما يدل ويعطى كلمة محددة ثم تابع بعده الكثيرون البحث والدراسة حتى تم العمل .

وقام شامبليون خلال سنوات عمله العشر في بحثه للحجر وما يحويه بمحاولات كثيرة واستخدم كل ما تعلم من أساليب الاستدلال والاستنباط وغيرها إلى أن وجد ضالته في طريقة جديدة استحدثها هو لتكون مصدرا لكل ما توصل إليه من خلال هذه الطريقة فقد توصل إلى استخراج الأصوات واكتشاف الأسماء والألفاظ وتحديد هوية كل شكل ورمز وهذه الطريقة هي طريقة المقابلات الخطية...

* طريقة المقابلات الخطية.

هذه الطريقة التي ابتكرها شامبليون واستخدمها في محاولاته لفك طلاسم حجر رشيد هي عملية إحراء مناظره أو مقابلة بين النصوص التي تنص في المعنى والمدلول ولكنها تختلف في اللغة التي كتب بها كل منها.

مثال ذلك «Tom» «توم» فعند إجراء مقابلة أو مناظرة بين الاسمين نجد أن «T=t» و «O=o» و «M=m» وبهذه الطريقة يتمكن لدينا استخراج أصوات الحروف بحيث أن ندرك الصوت الذي يعبر عنه الحرف أو الرسم أو الرمز ولكن هذه الطريقة إن أردنا الاعتماد عليها في الاستدلال على أصوات الحروف يلزم أن يتوافر لدينا عدة ثوابت لا تعبر عن أي منها.

١ - أن يكون لدينا علم مسبق بأسلوب الكتابة.

كان تعرف ما إذا كانت هذه اللغة تكتب من اليمين إلى اليسار أم العكس أو من أعلى إلى أسفل أم العكس والجهل بهذا في إجراء المقابلة يقبل لحقائق وعليه نجد أن Tom - توم M=t ت O=o و T=m وهذا خطأ بالغ.

٢ - قواعد الترتيب في الجملة والتكوين فيها.

فمعرفة مواقع الفعل والفاعل والصفة والضمائر... إلخ في الجملة وبين بعضها البعض يحدد لنا أي هذه الكلمات يقابل التي ندرکها من النص الذي نجرى التعامل معه ففي جملة «الأب الطيب أسعد أسرته».

« The good father did make his family happy »

فى هذه الجملة لا يجوز إجراء مقابلة بين أى من كلماتها فى الأولى سبق الموصوف الصفه وفى الثانية سبقت الصفه الموصوف وأيضاً أداة التعريف ظهرت متصلة بالموصوف فى الأولى أما فى الجملة الثانية فقد ظهرت مستقلة وكذلك الضمير وأيضاً لم تتساوى عدد الكلمات فى الجملتين وإجراء المقابلة إزاء ذلك ينتهى ولا يصل بنا إلى شئ.

٣ - معرفة الأصوات المستخرجة فى اللغة .

وهذه الأصوات هى التى تشكل وتكون الألفاظ والكلمات اللغة وعدم إدراكنا لهذا قد يحدث أن تحوى اللغة ما ليس منها مثل كلمة « على » « Aly » فصول الحرف « ع » لا وجود له فى اللغة الانجليزية وإجراء المقابلة الخطيه سيظهر الصوت فى اللغة مع عدم وجوده فيها أساساً والعكس فإن « A » هو بديل للصوت « ع » لكن لا يعبر يقوم بالتعبير عنه وبالمقابل نجد أن ع = A « أ » أى حذفنا صوتاً من أصوات اللغة .

٤ - معرفة وإدراك الصياغة الخاصة :

بالصياغة الخاصة التى تحدث لبعض الأسماء لا يمكن أن نتعامل معها كتعاملنا مع بقية الكلمات ذلك لعدم إتباعها لأى من قواعد النقل والترجمة فلا بد أن يدرك الباحث ذلك فمثلاً كلمة « EGYPT » هذه تعنى « مصر » ولكى لا تخرج الينا بكلمه غريبة « إيجيب » لا معنى لها فى اللغة التى نبحث فيها .

وأتساءل هنا ... هل كان لشامبليون هذا أى من هذه الثوابت ؟ الحقيقة ان شامبليون لم يكن يملك من أمر لغة المصرى القديم شيئاً فهذه اللغة لم يبق منها شئ فقد انتهت ولم يبق من يتحدثها على بساط تلك المعموره ولكن كل ما تبقى هو بعض الرسوم والرموز التى تكسو المعابد وعلى البرديات .

إن الأمر الطبيعي هو تعلم اللغة من أهلها ولكن هنا فإن الناظر يجد أن أهل اللغة قد فقدوها ومنذ زمن طويل وبعيد فأصبح أهلها غرباء عنها لذا فقد عمد شامبليون إلى الاعتماد على ما خطته الأيادي ونقشته على الجدران وأصبح كمن اشتد به الظما فراح يطلب شرب الماء من البحر فكلما شرب اشتد ظمؤه أكثر فأكثر ولم يبلغ الارتواء أبداً والذي يؤكد أن شامبليون أو أى من الذين خلفوه لا يستطيعون إدراك شئ من شأن هذه اللغة أن هناك ما قد تم إهماله فى النص الرئيسى لبحث شامبليون وهو «حجر رشيد» .

والنص المنقوش على حجر رشيد يشتمل على قرار الكهنة المصريين بتكريم الملك «بطليموس الخامس» وهذا الملك عرف فى المصرية باسم «إييفانيس» وهنا يجب علينا الوقوف أمام سؤال هام .

هل كان شامبليون يعلم ذلك الاسم من قبل ؟

وهل عرفه شامبليون بعد بحثه أم لا ؟

وهنا نستعرض كل الإجابات الممكنة لهذا السؤال .

الإجابة الأولى : هى نعم كان يعلم هذا الاسم وهنا يكون أن اللغة معروفة من قبل وهناك من يتحدث بها ومنه عرف شامبليون هذا الاسم فلا مجال إذن للبحث الطويل وليس عليه أن يجهد نفسه فى محاولات استمرت ما يقرب من عشر سنوات لمعرفة ما هو معروف من قبل وهذا بالطبع مخالف للواقع فاللغة المصرية القديمة لم تكن مستخدمة أو معروف عنها شيئاً آنذاك وعليه فإن هذه الإجابة خليقة بالرفض ولا يمكن تقبلها بأى حال .

الإجابة الثانية : إن شامبليون لم يكن يعلم هذا الاسم ولم يعلم قط سواء قبل هذا البحث أو بعده وبهذا يصبح كل ما قام بادعائه اكتشاف وفهم وفك هذه الطلاسم وتلك الرموز هو بحق محض افتراء فكيف يكون قد أدرك مفردات هذه النصوص واستطاع استخراج أصوات الحروف منها ولم يستطيع أن يعلم منها إسم العلم مثلاً وهو الركيزة الأساسية لأسلوبه وطريقته فى البحث . وهكذا تصبح أيضاً هذه الإجابة غير مجدية ولا تفيد فى شئ .

الإجابة الثالثة: أن شامبليون لم يعلم الاسم ولكنه عرفه أثناء بحثه وهذه إجابة لا يمكن تقبلها فهل يعقل أن يكون لهذا الرجل اسم يعرف به على مدى أكثر من عشرين قرناً ثم يأتي من يدعى له اسم آخر لم يعرفه أحد من قبل . ثم على أى أساس اعتمد فى استخراج الأصوات فإن وجب زعمه اعتمد على استخراج الصوت من اسم العلم وإذا كان اسم العلم فى هذه يختلف عنه فى تلك أى أن هذه المقابلات لم تحدث فى الاسم العلم وعليه فهو لم يستخرج الأصوات الخاصة بالرموز عن طريق المقابلة الخطية .

وهكذا نجد أن أى من هذه الاجابات لا تقع أو تشفع لشامبليون ولا تجيب لنا على هذا السؤال بل وتفتح لنا الباب إلى كم هائل من الأسئلة التى لا تعرف كيف نجيب عليها .

ثم إنه عن أى الكلمات كان يبحث بطليموس « ام إيبفانيس » فإنه إن كان يبحث عن بطليموس فإنه لن يجدها فهذه الكلمة لا وجود لها فى النص المصرى وإن كان يبحث عن ايبفانيس فمن أين له وكيف حصل عليه .

إن الأمر كله غريب ويدعو لإعادة التفكير مرات ومرات والنظر فى كل ما يتعلق بهذا الأمر . فالذى نعلمه أن اللغات نتعلمها بالتلقين المباشر ولا يصح فيها الاستدلال والاستنباط ولا التجريب والافتراض ولم نسمع فى أى وقت عن رجل تعلم لغة ما بإجراء مقابلة بين نصوصها .

خلال القرنين الماضيين لم تكن جامعات وأساتذة التاريخ فى العالم بشئ قدر ما عنت بدراسة تاريخ مصر القديمة ومنذ ذلك اليوم الذى أعلن فيه شامبليون أنه قد توصل لفهم وإدراك تلك الطلاسم والرموز وأصبح لتلك الأحجار والجدران والبرديات المنتشرة فى ربوع مصر أصبح لكل هذه المهملات عبر القرون معنى ومدلول وتسارعت الأيادى تسبقها الأيادى الكشف عما تخفيه الرمال وما توارى عن العين وكذلك الذى ظاهر أمام الأعين ولم يكن مفهوماً .

ولكن فى خضم هذا التصارع وأثناء هذا المتصارع لفهم تلك الحضارة

المهمة آنذاك فإن الذى يهمنا أنه بعد كل هذا الجهد والعمل ظهر لنا ما نعرفه اليوم بتاريخ مصر الفرعونية . أو تاريخ مصر القديم وأكثر ما جذب الانتباه وكان العامل الأساسى الذى عنى به الباحثون باعتباره المصدر الوحيد لادراك وفهم والتعرف على هذه الحقبة الزمنية المبكره من عمر مصر والبشرية كلها وهو اللغة المصرية القديمة ولاهمية اللغة المصرية القديمة فى دراسه التاريخ المصرى أصبحت اهم مجالات البحث للباحثين ولكن ... لكن بعد كل هذا الزمن الذى مر على اكتشاف شامبليون وما تبعه من كشوف فى هذه اللغة وجدنا أن هذه اللغة كما هى فريدة فى الطريقة التى ظهرت بها هى أيضاً مزیده فى ألفاظها وأسلوب التحدث بها وكذلك فى التعامل معها .

وظلت هذه اللغة عرضة للعبث طوال تلك الفترة ولم يتم التعامل معها كلغة لها قواعدها وألفاظها الخاصة بل كانت قواعدها توضع وفقاً لأهواء الباحثين وألفاظها هى ما يحدده لها المستكشفون .

* اللسان الخشبى

ما - عن - كا - رع - جحو - نعت - تى - مرى - عنخ - تا - سا . هذه الكلمات أو الألفاظ هى بعض ما قدمه لنا الباحثون فى المصریات على أنها كلمات مصرية صحيحة كان المصريون يستخدمونها فى فجر التاريخ البشرى لكن أكثر ما يستلفت الانتباه إليها أنها مجرد مقاطع صغيرة تتكون عادة من حرفين أو صوتين اثنين وقليل ما تزيد إلى ثلاث ونادراً ما تصل إلى أربع وقد تبدو هذه المقاطع للوهلة الأولى أنها درس للتلاميذ لإعادة تكوينها وصنع فهمها كلمات ذات معنى ومضمون ويرجع ذلك لأنه عادة ما تتكون هذه المقاطع من حروف ساكنة والحروف المتحركة قليلة الاستخدام ولا تظهر إلا نادراً وعلى مفض .

وربما يجدر بنا هنا أن نذكر ما ذكره «لويس بقطر» فى كتابه « تأملات فى الأدب المصرى القديم » وهو يتساءل ويحيب نفسه . وربما يتباين إلى الزهن سؤال : كيف نميز بين شعرهم ونشرهم ؟ وكيف نحدد أن هذا النص شعر أم نشر ؟ وهذه

ليست مسألة بسيطة لأننا عرفنا اللغة المصرية القديمة من خلال الحروف الساكنة أكثر ما عرفناها من خلال الحروف المتحركة ومن هنا يصعب أن تصل إلى نطق مؤكد للكلمة وتصبح مقاطع الكلمة مجالاً للتخمين. وقد ذكرنا هذا الجزء من « تأملات لويس بقطر » ليكون تمهيداً ومدخلاً إلى مشكلة المصرى القديم ولسانه الخشبي .

ففى شتى بقاع الأرض شمالها وجنوبها شرقها وغربها وعبر العصور والأزمنة نجد قاعدة لا إستثناء فيها وهى أن أكثر الأصوات والحروف المستخدمة فى أى لغة كانت هى تلك الحروف المتحركة والتي تعبر عن الأصوات «أ، و، ى» فى العربيه وايضاً الحركات مثل الضم والفتح والكسر ... إلخ

ويقابلها فى اللغات الأوروبية A - E - O - U - I - W - Y والتي تعبر عن نفس الأصوات وهذه الحروف أو الأصوات لا تخلو منها أبداً أى كلمه وعادة ما تضم واحداً أو أكثر . ويرجع هذا الانتشار والشيوع لهذه الحروف والأصوات وغلبتها على سائر الحروف الأخرى إلى أنها تعمل عمل الزيت للمحرك وعمل الماء للبلع والهضم .

كذلك فإن الحروف أو الأصوات المتحركة فهى تنتشر فى الكلمات وتيسر النطق على اللسان فدائماً ما ترى الإنسان يتحدث بأى لسان فعند تحدته وتكلمه هناك حركات رئيسية لا بد أن تظهر على قمة وهى الفتح أو «الضم» «و» أو الكسر «ى» .

وبالرغم من كل هذا الانتشار والغلبة للحروف المتحركة فى جميع الألسن باعتباره طبيعة إنسانية وضرورة لاغنى عنها بالرغم من هذا نجد أن اللغة الوحيدة التى أهملت الحروف والأصوات المتحركة ولم تتعامل معها إلا على مضض هى لغة المصرى القديم كما يسمونها وحتى هذا التعامل البسيط نجد أن الصوت المتحرك يظهر فى آخر المقطع أو الكلمة عادة وقليل بل نادراً ما يأتى فى المقدمة . وهنا تظهر مشكلة شديدة التعقيد فإن الذى يريد أن يتحدث ويتكلم

ويزاول حياته اليومية بكلمات عبارة عن مقاطع مغيرة ما يزيد المشكلة أن الأغلبية في هذه الكلمات أو المقاطع عبارة عن حروف وأصوات ساكنة جامدة ولا يرى المتحرك منها إلا أمانى ويمر عليه مرور الكرام فهكذا قد صار الأمر إلى نوع من العذاب فتكون جملة بهذا الشكل أو عبارة شئ مرهق جداً على اللسان فما بالناس بمن يفعل هذا ليل نهار يتبادل الأحاديث وينشد الأغاني ويقضى جميع حوائجه فإن هذا الأمر يجعل من الذين فقدوا نعمة الكلام فى نعمة عظيمة يحسد هم عليها الذين يتكلمون

وهذا السلوك الغير آدمى والذى يخالف الطبيعة البشرية فى أسلوب الكلام ياخذنا إلى شئ لا يمكن انكاره أو جحده وهو ان لم يكن هناك أخطاء وقد حدثت اثناء عمليات ترجمة النصوص المصرية القديمة فإن الأمر كله محض افتراء وتلفيق لا أساس له من الصحة أو الصواب .

إذا أن الحديث هنا عن أمة امتد بها الدهر من الأعوام الكثير والكثير ومن الطبيعى أنه ما يسرى عليها هو ما يسرى على سائر الأمم والحضارات المشابهة بها وما يسرى على أفراد هذه الأمة ذاته ما ينطبق على أمثالها فهؤلاء مثل أولئك كلهم يتفقون فى ذات الطبائع البشرية والتكوين الإنسانى .

ولو أن الأمر يتعلق بفرد واحد فيمكن أن يقال ان فى لسانه علة ما أوفى كتابته شئ من الجهل وعدم المعرفة وليس من الطبيعى أن يعانى كل أفراد هذه الأمة من ذات العلة أو يجهلون كلهم شأن لغتهم وعاشوا على هذا الجهل من الأيام والسنين الآلاف والآلاف دون أن يدركوه .

فكيف يتخلى الانسان مهما تباعدت به الأيام عن أحد صفاته وتكوينه الإنسانى فى استخدام الأصوات المتحركة المرنة التى تكسب اللفظ المرونة والوزن الذى يمكن اللسان من الإفصاح به .

ترجمه أم

وهنا نعود أيضاً إلى « تأملات لويس بقطر » وبالتحديد إلى مقولته « ومن هنا يصعب أن نصل إلى نطق مؤكد للكلمة وتصبح مقاطع الكلمة مجالاً للتخمين » أى أنه يرى فى الحصول على نطق سليم مؤكداً للكلمة شئ صعب جداً وبالتبعية فإن المقاطع المكونة للكلمات صارت « مجالاً للتخمين، وفى هذا رقة شديدة ومجاملة إذ أن التعبير الصحيح « ملعباً للتكهن والدجل » ذلك إن العالم فى بحثه لا يعتمد الا على ما هو واضح وصريح حتى يصل إلى نتائج محققه الصدق وليس « مجالاً للتخمين » فيحصل على نتائج من « الدجل والكهانة » فإن أهم قواعد الترجمة بين اللغات هو الحصول على النطق السليم للكلمة لإدراك المعنى المراد بها حتى يصل إلى ترجمة سليمة لها ولكن فى هذه اللغة كانت الترجمات تأتى وفق أهواء من يقوم بها وقد ظهرت هذه الاختلافات فى الكثير من النصوص وقد قدم لويس بقطر بعض هذه الاختلافات وتحديدأ من خلال نص مصرى مسجل على بردية محفوظة فى متحف برلين تحت رقم ٣٠٢٤ والذي أطلق عليه اسم « أموت أولاً أموت هذه هى المشكلة » وقد عرض الأجزاء الكاملة التى يسهل فهمها وترك تلك الغامضة المبتورة على حد تعبيرة ثم ذكر هذه الاختلافات فى هامش .

(١) إنه ينتزع الإنسان من بيته ويلقى به على أرض مرتفعه ينتزع الانسان من بيته المهجور على الأرض المرتفعه .

هذا المعنى متباين تماماً فالأولى تشير إلى أن الانتزاع من البيت ثم اللقاء إلى مكان مرتفع عن سطح الأرض والثانية تدل على أن الانتزاع تم من بيت مهجور والذي يوجد على أرض عالية .

(٢) إذا استمعت نفسى البريئة لى واتفق قلبها معى سعدت لأنى سأجعلها تصل إلى الغرب .

إذا استمعت روحى لى تلك الرقيقة المهمله .

هنا لا علاقة بين الأولى والثانية لا فى المعنى أو المدلول .

(٣) معهم يتكلم سمك الشواطئ
يخبرهم السمك بحدود الماء
(٤) كواسر الطير
براز الطير المتساقط
الاختلاف هنا بين الكواسر والبراز المتساقط
(٥) فى يوم والسماء ساخنه
أكثر من الحصول على سمك ميتة
(٦) تغلى بالتمرد عندما يستدير بظهره
أكثر من شاطئ يعيش فيه تمساح ملعون سئ ظهره مكشوف
(٧) وكل إنسان يسرق جاره
طالما هناك معاصى فكل إنسان يخاف خصمه
(٨) والواحد يتطلع متسائلاً إلى أخيه
لما كانت الرءاء أصبحت بالية فلكل إنسان وجهه نظر متدينه من وجهه نظر
أخيه .

(٩) قوم القرايين على المترع
وأنت مستمر على اللهب
ثم أنظر إلى هذه .

كلمه « The » يراها فولكنه « يضلل ويراه » سكارف « يهاجم وجودتك
يراه » « وايضاً « She » أو « kn » لقراء O أخرى مختلفه يراها أبرمان أروقه
ومعه آخرون أما جودتك فيراها « أتم » وفى هذه الأمثلة نرى إختلافات كثيرة
وتتنوع هذه الاختلافات فى أشكالها ويختلف فيها ترجمة ذات اللفظ بين فعل
واسم وظرف فيراه أحدهم فعلاً والآخر اسماً وهكذا .

ونعود إلى لويس بقطر ونرى تعليقه على هذا النص والذي جاء فيه « ورغم هذا نستطيع أن نقول أن النص مازال ينتظر من يحل كثير من طلاسمه » أى أن الأستاذ « لويس بقطر » يرى أنه ورغم كل هؤلاء الذين قاموا بتقديم ترجمات لذات النص يرى إن النص ما يزال طلسمًا يحتاج إلى من يحله .

وهذه الاختلافات كلها اعتمدت على ما اعتمد عليه سائر الباحثون في علمهم والتي أفرزت ما يسمى بتاريخ مصر القديمة .

إن إدراك وفهم اللغة المصرية القديمة كان العامل الرئيس أو الوحيد في الحصول على هذا الذى يسمى « تاريخ مصر القديم » وهو الذى نسج لنا هذا النسيج ولكن عجز العلماء على مدار كل هذه الأعوام من الحصول على ترجمة صحيحة لهذا النص ولو أن هناك معرفة حقيقية للغة المصرى القديم لحصلت لهذا النص على ترجمة واحدة وأخرى سليمة لا يختلف عليها أحد ولو نظرنا إلى كم الاختلاف الذى فى هذا النص لوجدناه كبيراً جداً على حجمه وأن وجود كل هذا الكلم من الاختلافات فى الترجمات لنص بمثل هذا الحجم الصغير يأخذنا إلى أنه لا وجود حقيقى لمعرفة لغة مصر القديمة وبالتبعية فإن هذا القصور يعم ويشمل بقية النصوص والمدونات الأخرى على اختلاف أحجامها وأشكالها سواء برديات أو جداريات .

* الحضارة المصرية والأثر الأغريقى عليها .

الحضارة القديمة لليونان والتي اشتهرت باسم الحضارة الاغريقية كانت ولا تزال هى صاحبه اعظم الاثر ومصدر الالهام لدى كل شعوب أوروبا والتي يدون فيها الأمر لكل حضارات المجتمع الأوروبي وكان يظهر فى الماضى قبل التعرف على حضارات مصر والصين وبابل أن هذه الحضارة هى الأقدام والأصل لكل حضارات الأرض شرقاً وغرباً .

وكان لهذا الشعور الغالب لدى المجتمع الأوروبي وخاصة المهتمون بعلم التاريخ أثره البالغ فى محاولاتهم فى فهم الكتابات المصرية القديمة وتأويلات

وكذلك فى إدراك المغزى من تلك الرسومات المنتشرة فى المقابر والمعابد وأدى هذا التأثير إلى ظهور نوع من التشابه فى العديد من النواحي تقترب فى التماثل والتطابق التام وهذا الأمر شائع وطبيعى بين حضارات العالم القديم ولكن هناك بعض الأحوال التى لا تتوافق مع بعض البعض وتشتد فيهما بينها على السير الطبيعى لأسلوب الحياة لدى المصريين القدماء .

وأول تشابه بين حضارة مصر وحضارة الإغريق جاء فى قصة الوجود أو بداية الحياة وفى الأسطورة الإغريقية البداية كانت « الفوضى - شوس choos ثم ظهرت الأرض - جايا - gaen » مسطحة ومن تحتها « الحميم تارتاروس - tartarus ومن الأرض ظهرت السماء - أورانوس oranus - والجبال والأنهار والمحيط ثم تزوج كل من « الأرض - جايا » « بالسماء - أورانوس » ظهرت المردة - تيتانس - titans .

وبعد صراع طويل بين الأب وأبنائه المردة انتهى بإلقاء المردة إلى الحميم وتولى « زيوس - zeos » الابن الأكبر « لاورانوس - السماء » مقاليد الحكم وأصبح كبير الآلهة والذى تزوج بأخته « هيرا - Hera » وأنجب منها بقية الآلهة « هيرمس - Herms » ، ديميتير Demetr أبو للون إلخ .

هذا فى الشق الإغريقى حسب أسطورتهم أما فى الجزء المصرى فكان هناك تفسير للوجود يسمى تفسير مدرسه « أودن - هيلوبلس » للوجود وجاء فيه :

إنه كان « النون - المحيط الأزلئ » هو البداية ومنه ظهر « أتم » الذى يرو عنه كل من « شو » « رب الهواء » و « تفنوت » رب الرطوبة ومن زواجهما ببعض أنجبا « جب » رب الأرض و « نون » ربه السماء وبعد زواج الأرض بالسماء ظهرت الآلهة أوزير - ايزيس - ستى - نفثيس ... إلخ . نرى بوضوح هنا أن القصة تكاد تكون واحدة الا فى إختلافات بسيطة فقد اعتبر المصريين الأرض ذكر والسماء أنثى والعكس لدى الإغريق وكان الصراع هنا بين أوزير وستى وهناك بين زيوس والمردة .

هذا التشابه فى نظرية الوجود وتفسيره لم يكن الوحيد ولكن تعدى النظرية وذهب إلى الفكر والاعتقاد . فإنه بنظرة سريعة إلى الآلهة التى عبدها المصرى القديم وتلك التى عبدها أهل اليونان لوجدنا أن لكل إله عند هؤلاء مثل وشبيه عند أولئك يقوم بعمله وينال قدسيته وشعبيته وعلى سبيل المثال « ايزيس » فى مصر تقابلها « افروديت » لدى الاغريق « وناعت » تقابلها « اثينا » وكذلك « امحتب » يقابله « اسكليبيوس » و « أوزير » هنا و « هاديس » هناك و « حورس » مع « ايدوس » و « رع » مع « ابو للون » و « آمون » و « زيوس » ... إلخ .

وبالتتبع سنجد آخرين وهذا التشابه لم يقضى عند الأداء والوظيفه والعمل ولكن وصل إلى التشابه اللفظى والتطابق الوزنى للفظ .

ومن مظاهر هذا التشابه أنه كان لدى الاغريق من يلقبون « بأبناء الالهة وهم من الأبطال الذين شاعت سيرهم وبطولاتهم ومن اشهدهم « هرقل » والذى اعتبره الاغريق ابن لـ « زيوس » من زوجه إنسية من بنى البشر .

وفى حين كانت أم البطل هى زوجة الآلهة للاغريق فإن زوجه الملك هنا هى التى حملت هذا اللقب وأصبحت « الزوجه الآلهة لامون ، هذه هى أكبر مظاهر التشابه بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الاغريقية فإن هذا التشابه تواصل وتتابع حتى فى الحياة اليومية والممارسات الدينية وكذلك الفكرية والاحتفالات بالمناسبات الخاصة والعامة .

كان من الممكن أن يتقبل كل هذه التشابهات ولا نغيرها بالألوان أنه كان تشابه وتماثل فى طبيعة الحياة والحركة العامة لكلتا الحضارتين ففى حين نعم المصرى القديم بحالة استقرار فى هذا الوادى الممتد من جنوب البلاد إلى شمالها على ضفاف النيل وقدرة المصرى القديم على الحصول على حوائجه الأساسيه وغير الأساسيه بمجهود ليس بالعسير المضمنى ومن خلال هذا الاستقرار حصل على تجمعات سكانية استطاع من خلالها تكوين دولة قوية نعمت بالرخاء والثراء الفاحش لعقود وقرون طويلة وفى ذات الوقت كان اليونانى القديم يجاهد الطبيعة

سواء من قوة التضاريس أو من تذبذب المناخ وكان نتيجة لهذا أنه لم تحدث التجمعات الكبيرة ليكون منها دولة ولكنه ظهرت التجمعات البسيطة فى القرى ثم إلى تجمعات أكثر قليلاً وكونت تبعاً لذلك المدن .

وكان كلما ظهرت مدينة وعلت تغطي على من حولها وتضمها إلى نطاق حكمها وهكذا نجد أن التاريخ اليونانى لم يهنا أبداً بالاستقرار بل كان فى مجمله حرباً أهلية بين الأقوياء .

هذا الاختلاف بين شكل الحياة الشخصية للفرد أو الدولة ككل كان لازماً سترك إختلافاً فى أسلوب الفكر والاعتقادات .

وهذه الاعتقادات الاغريقية الأصلية والتي صبغت على كونها جزءاً من المعتقدات المصرية القديمة إن قبلناها على أساس أنها جزء من الأسطورة الإغريقية فلن نقبلها على كونها جزءاً من الاعتقاد الدينى لدى المصريين القدماء .

وتفسير الوجود يركن إلى الأسطورة وهذا هو الطابع الغالب على المجتمع الإغريقى لذا يظهر لنا أن أعظم ما خلفه الاغريق شيئان هما الأسطورة والفلسفة وبرغم عدم وجود اختلاف فى نوعية الفكر فى كلاهما حيث أن الأسطورة اعتمدت أساساً على الخيال والوهم والأخرى اعتمدت على التفكير فى ما وراء كنية الشئ أى ترك كل مظاهر الطبيعة فيه والبحث فى علاقة العليا دون النظر إلى صفاته المتعارفة أما فى المجتمع المصرى فنرى الوضع مختلفاً فحضاره مصر حضارة بنائية تركت أعظم رصيد فى العمارة البنائية سواء المعابد أو المقابر وكذلك التماثيل العملاقة وأيضاً تركت آثاراً تدل على دراية واسعة فى علوم الطب والكيمياء والفلك لم يستطع أى من علوم العصر بكل تقدمه أن يكشف إلا عن القليل منها هذا من ناحيه ومن الناحية الأخرى فقرب مصر ودخولها فى منطقته الرسالات الآلهية والتواجد فى هذا الإطار ووجود عدد من الأنبياء فيها سواء من مروا عليها مثل «إبراهيم وعيسى» عليهما السلام وآخرين قدموا وعاشوا فيها مثل «يوسف - إدريس - يعقوب» عليهم السلام يجعل هذا التفسير بعيداً عن فكرهم .

وفكرة أبناء الآلهة تلك هى أيضاً جزء من الأسطورة فإن كان الآلهة يتحاربون بين بعضهم البعض ومنهم اللص مثل «هيرمس» Hermes وأيضاً للعبوب الغانية «أفروديس» والتي اشتهرت بعلاقاتها سواء مع البشر أو الآلهة فليس غريباً أن يظهر وسط هذا أن هناك علاقة بين إنسية وأحد الآلهة مثل «زيوس» Zeus والذي له هو الآخر العديد من العلاقات الغرامية مع البشر أو الآلهة.

ويكون نتاج هذه العلاقة ولد يحمل من صفات أبيه الآلهة وأمه الانسية فيصبح بين ما سموه «بالفانين» أو البشر والآلهة الذين أسموهم الخالدين ويصبح هذا هو بطلهم الذى لا يقهر مثل «هرقل».

أما فى مصر فكانت الحالة ذات أسلوب غريب فإنه قد أصبح الملك الذى يحكم البلاد هو ابن الآلهة بمعنى أنه كل من يعتلى عرش مصر يصير ابناً للآلهة وهذا غير منطقي ففي الأسطورة نتحدث عن شخصية اسطورية ليس لها أساس فى الواقع الحقيقى فيمكننا آنذاك أن نتحدث كيف نشاء لكن فى الحاله المصريه فالحديث عن أشخاص أحياء نتعامل معهم ونراهم فى الطفولة ثم الصبا والشباب حتى الكهولة والموت.

ولا يظهر عليه ما يميزه بين بقية الناس سوى كونه الملك.

وإن قبلنا مجازاً القول بأن هذا الملك هو ابن للاله فمن الطبيعى أن يكون ابنه ابن ابن الآلهة ثم يكون ابنه ابن بن بن الآلهة... وهكذا... وفى هذا إختلاف عما هو كائن فاعتبار أن هذا الملك هو ابن للإله نفياً لنسبه للملك أبيه ويصبح ابناً غير شرعي وتتقدم أحقيته باعتلاء العرش. أى أنه الأصلح للملك نسبته لأبيه الملك لا للإله.

وهنا نرى التأثير الشديد بالحضارة الاغريقية والنظر إليها على كونها الحضارة الام لكل الحضارات حتى تلك التى سبقتها بالآف السنين ولعل أبلغ ما يبرز لنا هذا التأثير أن العلماء والباحثين اكتفوا بالألفاظ والأسماء الإغريقية لبعض المسميات المصرية والتي لم يظهر لها أى إسم فى اللغة المصرية.

فاللغة المصرية القديمة إسمها المتعارف بين الناس الهيروغليفية» وترجمة هذا اللفظ فى العربية «النقش المقدس» وعلى غرارهِ ظهرت الاسماء «الهيراطيقى» بمعنى الكهنوتى» والديموطيقى بمعنى «الشعبى» والقبطى بمعنى «المصرى» وهذه الاسماء كلها اغريقيه لا تمت للمصرية القديمة بصلهِ سوى أنها تطلق على لغتهم ونقشهم وخطوطهم كذلك فإن اسم مصر لم يظهر فى أى من المدونات والمخطوطات المصريه فإسمها الاغريقى ايجبتو «Aigyp tus» والذى ظهر منه اسمها اللاتينى ايجيبِت «Egyp et» ومصر هو اسمها العربى وليس اسمها فى لغهِ المصرى القديم .

وهذه المسميات أساسية فى تكوين العلاقهِ بين المرء ولغته ووطنهِ الذى يعبر عن هويته وعلى غرار هذا فإن العربى يقول «لغهِ عربية - عربى بلاد العرب» ويقول عن الانجليز «انجليزى - لغهِ انجليزيه - انجلترا - ففى الاولى يعبر عن نفسه فيسمى لغته ونفسه وبلاده وفى الثانية يتحدث عن الانجليز فينسبهِ لوطنهِ ويسمى لغته ووطنهِ فى حين أن الانجليزى يعبر عن نفس الأشياء بقوله «Arapic long - Arapic - Arap contry» وعن نفسه «English long - English England» ويظهر هنا اختلافا بين الاسم الذى يطلقهِ المرء على لغته وهويته ووطنهِ وبين الاسم الذى يطلقهِ الآخرون على ذات الاسماء وهنا تبرز مكانهِ أن يستطيع المرء أن يعبر عما يطعن من خلال لغته هو لذا كان من الغريب عدم وجود اسم للغهِ المصريه أو حتى اسم مصر ذاتها باللغهِ المصريه القديمة وأن يكون لدينا فقط الاسماء التى أطلقها عليها الآخرون من عرب وعجم .

وعليه فماذا كان يسمى المصرى القديم وطنهِ ولغته وهويته؟

هل كان يسميها «مصر»؟ ويصبح هو مصرى ولغته المصريه كما فى اللغهِ العربية أم كان يسميها «ايجيبِتوس» ويصبح هو ايجيبِتِك ولغته كوبِتِك كما فى الإغريقية أم ماذا ؟ !!!

* أين يوسف وموسى من تاريخ مصر

رغم كثرة النصوص المصرية التى تعد أعمالاً أدبية تحمل القصة والرواية والأسطورة وكذلك نصوص لها شكل الوثائق التاريخيه والتى تحمل الأحداث الهامة فى تاريخ مصر القديم كتولى أحد الملوك الحكم أو نشوب حرب أو إنهاؤها كذلك تظهر بعض الوزراء والكهان ودورهم فى الأحداث وكذلك نصوص أخرى تتعرض للعديد من مظاهر الحياه العاديه للناس فى المجتمع المصرى القديم برغم كل هذا الوفرة فى تلك النصوص لم تحصل ولو على شئ واحد يشير من قريب أو بعيد إلى قصة يوسف عليه السلام أو قصة موسى عليه السلام مع فرعون .

فإن فى كلتا القصتين من الأحداث ما علق بالأذهان وتناقلته الألسن فى قصة يوسف الكثير من المشاهد التى تترك النفس فى حاله من التعجب والاضطراب فأولا قصته مع إخوته وكيف تجمعوا وأجمعوا أمرهم على إلقاءه فى البئر فيلقفه بعض السياره ثم يبيعونه لرجل من مصر ويكون هذا الرجل صاحب أعلى المناصب فى الدوله بعد الملك وهو « العزيز » وهذا المنصب آنذاك هو المنوط به شئون الفروع والحصاد والخزين فى شتى ربوع البلاد .

وتبدأ فى بيت هذا العزيز قصة أخرى بين هذا الشاب الذى اشتراه عبداً وبين زوجة العزيز والتى بهرها جمال ذلك الفتى وفتوته حتى راودته عن نفسه إلا أنه استعصم وشاعت الأحاديث عنها حتى أنها « امرأه العزيز » . أتت بمن لامها فى عشقها لفتاها ولما أخرجته عليهن قطعن أيديهن من فرط فتنته وراودنه جميعاً ولكن لم يسلم لهن فالقى فى السجن وفى السجن تبدأ قصة أخرى فكيف يفسر ما رآه الرجلان ويتذكر الذى خرج وكان قد طلب منه أن يخبر الملك عنه ويحدث أن يرى الملك مناماً فيقلقه ويؤرقه ويجمع من حوله ليخبروه عما رأى ولا يستطيع من حوله أن يخبروه حتى يخبره ساقيه عن زميله فى السجن فيفسر ما رأى الملك ثم يطلبه الملك ويرفض قبل أن يسأل النسوة اللاتى قطعن أيديهن فيبرئنه وتشهد امرأة العزيز بأنها راودته وأبى هو ذلك فما يكون من الملك إلا أن

يجعله من خاصته ويصبح يوسف هو عزيز مصر ويمر بالبلاذ من شدتها وفى أثناء ملك الشده يأتى إخوته يطلبون القوت لقومهم فى الصحراء فيعرفهم وهم لا يعرفونه وكيف تحايل عليهم حتى يأتوه بأخيه ثم يعرفهم بنفسه وينقل أهله من البادية إلى مصر ويظهر معه أول ظهور لبنى إسرائيل فى مصر .

هذا باختصار مجمل الأحداث فى قصة يوسف عليه السلام وهذه القصة ثرية بالمشاهد المؤثرة التى لا يمكن لمن دون قصة مثل « الملاح الناجى - أقدار الأمير » أن يغفلها ذلك أن يوسف يظهر من الأحداث على كونه وزيراً كبيراً فى الدولة ونبى انتشرت دعوته بدليل أن امرأه العزيز آمنت وصدقت به ذلك فى قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٢، ٥٣] . وفى قصة موسى عليه السلام مع فرعون الذى وصفه الحق تعالى ﴿ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: ٤٣] .

وفى هذا الوصف الصادر من الله تعالى ما يدل على طغيان بلغ مبلغاً لم يصل إليه أحد .

وتبدأ القصة قبل مولد موسى عليه السلام حيث كان بنو إسرائيل يلقون أشد العذاب والمهانة على يد هذا الملك الطاغية والذى يصل طغيانه إلى حد قتل أطفالهم وتخاف أم موسى على وليدها فتضعه فى تابوت وتلقيه فى اليم ويصل إلى يد عدوه فرعون فيصبح هو منقذه دون أن يدري ما ينتظره على يد هذا الصغير وكرم الله عليه المراضع ليعيده مرة أخرى الى أمه ويطمئن قلبها ويتربى فى بيت فرعون ثم يحدث أن يقتل رجلاً لنصرة أحد أقربائه ويتربص به الناس فيهرب إلى خارج مصر ويمكث فى مدين فترة من الزمن ويعود إلى مصر وأثناء عودته يتلقى رسالة ربه رسالة النبوة .

وفور عودته لمصر يذهب إلى فرعون ويريه من آيات نبوته ما يؤكدها ولكن

فرعون يأتى ويرفض أن يصدقه ويجمع أعظم السحرة لديه ليهزموا موسى عليه السلام ظناً أنه ساحر وما حدث من السحرة وسجودهم لله وإيمانهم بموسى وما صبه عليهم فرعون من العذاب والتنكيل ومنع موسى من الخروج ببني إسرائيل حتى تظهر آثار الغضب الآلهى على مصر وأهلها وانتشار الأوبئة وتنتهى الأحداث بهروب موسى ببني إسرائيل إلى سيناء وانشقاق البحر ومرور موسى وبني إسرائيل معه وغرق فرعون وجنده أجمعين. وفى هذه القصة من أحداث متعددة تتعلق كلها بالقصر الملكى والملك نفسه وعن فئة من الشعب عانت من الاضطهاد والتعذيب الشديد .

لذا كان من الغريب عدم وجود إشارة إلى هاتين القصتين وما فيهما من أحداث هامة كان مسرحها قصر الملك أديب العزيز وما لحق بشعب مصر من إنقطاع الفيضان وحدوث الجفاف فى عهد يوسف وفى نقص الثمار وانتشار الأوبئة والقمل والضفادع وغيرها فى عصر موسى عليه السلام .

وبالرغم من مرور أكثر من قرنين على كشف حجر رشيد وفهم اللغة المصرية بعد اكتشافه بنحو ثلاثين عاماً واكتمال حلقات تاريخ مصر القديم . بحيث يمكن تتبع أحداث ووقائع ما حدث خلال تلك الفترة المبكرة وإمكان تتبع ملوك مصر الذين تولوا مقاليد الحكم من بدايه عصر الأسرات إلى غزو الفرس والاغريق بمصر بعد إنهيار الدولة المصرية القديمة بالرغم من كل هذا لم يظهر بين كل هؤلاء الا الملك الذى اتبع النبى يوسف عليه السلام وجعله « عزيز مصر » وكذلك الملك الذى طغى وهلك فى اليم والقلة التى عانت الاضطهاد وهم بنو إسرائيل .

ولماذا لم يظهر اسم « يوسف » عليه السلام « عزيز مصر » الذى تولى أمر عبور المحنة والجفاف والذى كان وبالضروره سيظهر فى المدونات إن لم يكن كونه نبياً رسولاً فإنه بطل ووزيراً قديراً .

أما موسى عليه السلام فإنه سيظهر بوصفه أحد المارقين على الملك والذى يبهز الناس بسحره والذى استطاع أن يقهر الملك ويهرب بأهله هذا إن كان من

يدون هو من الذين اتبعوا فرعون ولم يؤمنوا بموسى . والأغرب أنه من قبل هذه الاكتشافات والمعرفة الكاملة بتاريخ مصر لم يكن لدينا خبر حقيقى وصادق ومؤكد عن هذه الفترة القديمة سوى ما ورد عن قصة يوسف وموسى عليهما السلام سواء فى القرآن أو التوراه برغم الاختلافات بينهما فى الرواية . ولكن بعد معرفة اللغة وحل الطلاسم والرموز أصبح لدينا أكثر الفترات غموضاً ولا وجود لها فى التاريخ كما صاغه أصحاب هذا العلم حتى تلك الفترة التى وجد فيها يوسف عليه السلام وتلك التى كانت لموسى عليه السلام أيضاً .

والغموض لا يعنى وجود فترة مجهولة لا نعرف عنها شيئاً ولكن لا اكتمال سلسلة الأحداث واكتمال حلقات التاريخ المصرى القديم دون ذكر هذه الفترة ولا تلك .

وفى حين غير وثائق لوصايا الحكيم « امنحتب » و « الفلاح الفصيح » وغيرهما وفى حين نجد قصص مثل « الملاح » و « ستوهى » ومدونات تذكر أسماء لوزراء نكرات لم يقم أحد منهم بدور حقيقى فى شئون الدولة حيال ذلك لم نجد شيئاً يذكر قصه النبیین ولا اللقب « عزيز مصر » وكونه أحد أعلى المناصب فى الدولة ولا « عيد الزينة » أو يوم الزينة » الذى ذكر فى القرآن .

وبعد هذا كله نعود لنسأل هل حقيقى أهمل المصريون تدوين هذه الأحداث الهامة ؟ أم أنه أهملت عمدا هذه الأحداث ليس من قبل المصريين القدماء ولكن من المستكشفين .

* تاريخ صناعة يهودية :

لقد كان لمعرفة اللغة المصرية القديمة وامكان قراءة النصوص المصرية أعظم الأثر فى حصولنا على هذا التاريخ لتلك الحضارة التى أذهلت العالم أجمع وتناولت هذه النصوص كل نواحي الحياة فى مصر القديمة .

ولقد كان الدور الأوروبى هو الدور الرئيس فى اكتشاف المقابر والمعابد التى دفنت بفعل الزمن وكان الدور المصرى حقيقة يتمثل فى تقديم يد المعونة فى الحفر والتنقيب وتقديم كافة المساعدات الإدارية ثم يعود ليقف فى صفوف المتفرجين ينتظر ما يقدمه له الأوروبيون .

وكان لابد لهؤلاء العلماء الباحثين الأوروبيين من الرجوع إلى مصادر لها علاقة بهذه الفترة المبكرة من تاريخ مصر ويكون لهذه المصادر صفة اليقين الذى يمكن الاعتماد عليه ولأن الانجيل لم يتحدث أو يتناول مثل هذه الأحداث فإنه لم يبقى غير التوراه والقرآن ولسبب ما تم تجاهل القرآن تماماً ولم يتم الرجوع إليه واعتباره مصدراً لا يصلح فهل رأى هؤلاء العلماء أن القرآن ليس من كتب الله؟ أم ماذا...؟

وهكذا لم يبقى غير التوراه لتصبح مصدراً رئيسياً لكن العلماء والباحثين سواء قبل البحث أو بعده وفى مقابل هذا الاهتمام بالتوراه نجد الجحود والتجاهل التام لما ورد فى القرآن الكريم فى شأن مصر.

وتتواتر دلالات كثيرة لتؤكد هذا الاهتمام بالتوراه فيما قيل أنه فى تاريخ مصر القديم فإن الاسم الذى أطلق على أحد الآلهة التى عبدها المصريون وهو «ست» هو ذاته اشتقاق من الرسم العبرانى «شيث» الذى ورد فى التوراه كاسم الابن لحواء جعله الله العوض «لهابيل» ابنها المقتول كما ورد فى سفر التكوين الإصحاح الرابع.

وأيضاً «رمسيس» وهو واحد من أشهر الملوك فى تاريخ مصر القديم فإن قراءته السليمة «رعمسيس» وهو ما يتفق مع الرواية التوراتية التى ذكرت بأن بنى إسرائيل قد سخرهم فرعون والمصريون لبناء مدينة تسمى «رعمسيس» سفر الخروج الإصحاح الأول وقد قيل أنه فى بعض المصادر المصرية قد وجد ما يدل على بناء مدينة فى عهد رمسيس الثانى وسميت «ب رعمسيس» وهذا ما اتفق تماماً مع رواية التوراه وهناك أيضاً بعض النصوص التى توضح اهتمام المصرى القديم بالقرابين وتقديمها للآلهة وللأموات منهم وما قيل عن هذه من إنها تحرق حتى تقبلها الآلهة.

وهذا ما يتفق مع ما أوردته التوراه فى الإصحاح الرابع عشر من سفر «اللاويين» والذى جاء فيه أن الكاهن يقوم بعمل ذبيحة خطيئة ويحرقها قرباناً على المذبح.

وكذلك ما أشاعه الأحبار اليهود من أن علامة تقبل الله تعالى للقربان يتمثل في نار بيضاء تهبط من السماء فتلتهم القربان .

وفى إحدى الوثائق والتي سميت «اويور» جاء ما قيل أن ترجمة «أن نهر النيل أصبح قبراً وصار بلون الدم» وهذا مقتبس مما جاء فى التوراه من عقاب الله لمصر وإنتشار الجراد والضفادع وغير ذلك جاء أن «نهر النيل تحول إلى دم» .

هذا وإن أكثر ما اتفق فيه التاريخ المصرى والتوراة هى أحكام وشرائع العقيدة فيكاد يكون الاثنان وجهين لعمله واحدة أو نهرا ن من منبع إلى مصب واحد مع أن التوراة كتاب أنزله الله تعالى والعقيدة القديمة وثنية من نسج خيال أصحابها .

فمما وصلنا أنه كان فى القدم حكيم يدعى «آمينتنوبى» وقد خلف هذا الحكيم وصايا ومما جاء فيها :

لا تصاحب رجلا عاد « » ولا ترغب فى محادثته، الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه أهلاً للعمل فى رجال البلاط .

وفى سفر الأمثال جاء :

لا تستصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجئ
أرأيت رجلاً مجتهداً فى عمله أنه أمام الملوك يقف .
وهناك ما جاء فى كتاب الموتى الفصل ١٢٥ ومنه :
أنى لم أرتكب القتل ولم آمر بالقتل

إنى لم ارتكب الزنا

أنى لم أخسر مكيال الحبوب

أنى لم أنقص المقياس

وما هذه الدفاعات التى يدافع بها المتوفى عن نفسه أمام أوزير . ومن نشيد إخناتون جاء هذا الجزء :

يزدهر كل شئ لاجل الملك
لأنك أنت الذى خلقت الأرض
وأنت الذى خلقت الناس لاجل ابنك
الذى ولد من صلبك
ملك مصر العليا ومصر السفلى
الذى يحيى على الحق
سيد الأرضين « اخناتون » الذى يحيا إلى الأبد .
وفى التوراة نجد ما قاله الله تعالى لسليمان عليه السلام :
« أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا » صمويل الثانى اصحاح ١٣ . وعن داود
. ورد أنه قال :

« إنى أخبر من جهه قضاء الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك اسألنى
فأعطيك الأمم ميراثا وأقاصى الأرض ملكاً » المزمور الثانى وهذا ليس كل شئ فإن
مظاهر الاقتباس تتابع كلما توغلنا قدما فى هذا الأمر وخاصة الوصيا والحكمة
والمسألة الدينيه وبالرغم من أن هؤلاء المصريين القدماء كانوا يعبدون وثنيا وفى
التوراة إله واحد أحد .

وفى خضم هذا الاتفاق العجيب مع التوراه نجد تجاهلا تاما لما ورد فى القرآن
من قصتى يوسف وموسى عليهما السلام وعدم ظهور لقب « عزيز مصر » بصفته
أحد أهم الوظائف فى بلاط الملك والدولة وكذلك اختفاء « يوم الزينة » أو « عيد
الزينة » كأحد أعياد المصرى القديم وهذا الاصرار الغريب على الهيكله الاغريقية
للدولة المصرية برغم كل هذا الكم من الوصايا والمناهج التى تتفق مع التوراه .

والمسألة هنا ليست فى التوراة ذاتها فالتوراة كتاب أنزله الله تعالى وليس لى
أو لى إنسان أن يتعرض له بسوء أو حتى بنقد ولو بسيط وإنما نذكر هنا ما جاء
فى حكم التنزيل :

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨-٩٢]. وأيضاً قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وهنا نرى أن هناك اختلافا بين القرآن والتوراة وأمر من الله تعالى إلى الرسول ﷺ والمؤمنين جميعاً بأن يحكموا بما أنزل الله وأن الذي يزيعونه اليهود على أنه التوراة هو ليس بالتوراة كما أنزلت ولكنهم أدخلوا عليها ما ليس فيها وحذفوا منها أجزاء أيضاً.

لذا فإن المسألة ليست في التوراة ذاتها ولكنها في اليهود الذين سيطروا تماماً على فكر هؤلاء الذين قاموا بهذه الاستكشافات ونسجوا هذا التاريخ وألبسوه لمصر ولا سيما وأن هذه الاستكشافات تواكبت مع انتشار وظهور الفكر الصهيوني والذي أصبح ذا وجود حقيقي إبان هذه الأبحاث وجاء إنتقام اليهود من مصر في العصور القديمة منذ أن ذاعوا الأكاذيب عنها ووصل بهم هذا إلى تحريف وتحويل ما أنزله الله تعالى في التوراة كما ذكر الله تعالى في كثير من آيات

القرآن الكريم . وحانت لهم فرصة ثانية ذهبية واستغلوها ليدسوا سمومهم فى ماضى هذه الأمة واستغلوا أيضاً انبهار العالم بهذه الحضارة وشغفه لمعرفة كل شئ عنها فى تنفيذ مخططهم الإجرامى الذى نجحوا فيه ببراعة فائقة .

وعندما ننظر إلى هذا التشابه بين التوراة وما ورد فى النصوص المصرية القديمة نقول إن الاقتباس تم من التوراة إلى هذه النصوص وليس العكس لعدة أسباب :

أولها : أن هذه الوصايا والأخبار تتفق مع كون أن التوراة كتاب سماوى ويختلف مع كون أن المصرى القديم وثنى كافر .

وثانيها : إن هذه الأخبار كانت فى التوراة منذ وقت نزولها على موسى عليه السلام أى نحو ثلاثة آلاف عام تقريباً وظلت هكذا وما تزال وفجاء تظهر نفس القيم والوصايا لتنسب إلى المصرى القديم .

وثالثها : إن كان المصرى القديم بهذه المثل والقيم وأيضاً بنو إسرائيل فكيف ظهر العداء بينهم ولماذا فعل المصريون ببني إسرائيل ما فعلوا .

ولعل أعجب شئ أنه لم تظهر ولو إشارة بسيطة فى تاريخ مصر إلى وجود بنى إسرائيل فيها مع أن دخولهم إليها لم يكن خفية أو انتقال عادى ولكن هجرة جماعية وكان أحدهم أكبر رجال الدولة يوسف عليه السلام «عزيز مصر» وأنهم دائماً ما كانوا قريبين من القصر والحكم حتى خروجهم والذى كان آية من كل النواحي ولو أضفنا ما حدث للمصريين جميعاً بسببهم لرأينا أنه لا بد أن يظهرنا كثيراً فى النصوص المصرية سواء الرسمية أو ضمن قصصهم وحكاياتهم .

وكان من الطبيعى أن يذكر بنى إسرائيل كشرذمة وقلة صغيرة فى التاريخ المصرى من خلال الوثائق والنصوص فيأتى ذكرهم فى كل شر ولن يكون بالمدح أبداً فالعداء قائم بين الشعب وهؤلاء العبرانيين ولو أضفت إلى هذه السمعة التى اشتهروا بها فى مختلف البلاد والأزمنة فهم يأكلون الربا وقدموا فتياتهم كغوانى فى بلاد فارس وبلاد العرب وسائر البلاد وعدم الولاء سواء للدين أو الأرض وعدم

الوفاء بالأمانات وما إلى ذلك من الصفات التى اشتهروا بها فإن المصرى لن يذكر عنهم خيرا وسيظهر من ضمن ما كتب أشياء لا يريد اليهود أن يعرفها أحد .

وعلى هذا الأساس ومن خلا هذا المنطلق لم تظهر أى إشاره إلى بنى إسرائيل ولأن الفكر الصهيونى كان قد اتخذ شكراً فى المجتمع الاوروبى ولاعتماد العلماء على اليهود والتأثر بهذا الفكر كان لازماً وحتماً عدم ذكر بنى إسرائيل فى التاريخ المصرى القديم .

* فرعون :

كلمة فرعون بالنسبة للتاريخ المصرى القديم حسب ما ذكر فيما قيل أنه ترجمة للنصوص المصرية القديمة هى اشتقاق من اللقب المصرى القديم « بر - عا » والذى يعنى « البيت الكبير » حسب زعم أصحاب هذه الترجمات وكان يقصد به بيت قصر الملك ومقر الحكم وظهر مع بداية الدولة القديمة وظل على ذات حالة الدولة الوسطى ومع بداية الدولة الحديثة فأصبح هذا اللفظ أو اللقب يقصد به الملك نفسه وليس القصر الملكى .

وكلمه فرعون ذاتها حسب ما لدينا لم تظهر حقيقة فى أى من هذه الوثائق والنصوص لكن الذى ظهر هو « بر - عا » أما لفظ « فرعون » فهو اشتقاق من الكلمة سالفه الذكر وقد نقل من المصرية القديمة إلى العربية والعبرية ومنها إلى بقية لغات العالم حتى غلب الاشتقاق على المصدر . وخلاصة هذا أن كلمة فرعون أو « بر - عا » هى لقب مثل « ملك » « وامبراطور » « وسلطان » ... إلخ هذا هو موقف التاريخ واللغة المصرية من هذه الكلمة حسب زعم المؤرخين .

القرآن الكريم ذكر كلمة فرعون فى الكثير من آياته ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾

[البقره : ٥٠]

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الإعراف : ١٠٤]
﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٢٣] ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ

إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه : ٤٣] .

﴿ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ... ﴿ [القصص: ٣، ٤].

هذه بعض الآيات التي ذكر الله تعالى فيها «فرعون» في القرآن الكريم والملاحظ في هذه الآيات أنه تعالى ذكر كلمة فرعون على أساس كونها اسم علم وليس صفة فقوله جلا وعلا «اذهبا إلى فرعون» تعني أن المقصود بها رجل اسمه فرعون وليس صفته وإلّا لقال إلى الفرعون بأضافة أداة التعريف «ال» لو كان صفة وإطلاقها نكرة تعني التعميم وعن إضافتها إلى معرفة تعني التخصيص مثل «ملك - الملك» وفي قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ يفيد أيضا بأن الفاعل هنا اسم علم لا يصح أن يكون فاعلا في جملة خبرية.

وفي قوله ﴿ نَبَأُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ ؟ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ﴾ نجد أنه تم عطف ذات الكلمة مره مع موسى عليه السلام وأخرى مع قارون وهامان وكل هذه الأسماء أسماء علم وكما نعرف من قواعد اللغة العربية أنه لا يعطف نكرة على علم فلا بد أن يكون لفظ فرعون أيضا معرفة مثل ما عطف عليه .

وجاء ذكر الفئدة التي كانت مع هذا الجبار المتكبر بقوله عز وجل ﴿ آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ وهكذا فقد جعل الله عز وجل هذه الفئدة تعرف باسم هذا الرجل ولو كان هذا اللفظ يعنى صفة أو لقب لما جاز أن يعرف بها هكذا لأنه لا يصح تعريف نكرة بنكرة أخرى ولكن جاء هذا التعريف على شاكلة ﴿ آلَ لُوطٍ ﴾ ﴿ آلَ الْبَيْتِ ﴾ ﴿ أَصْحَابَ الْآيِكَةِ ﴾ ... إلخ .

وعليه فإن كلمة «فرعون» جاءت في القرآن الكريم على كونها اسم علم وليست صفة أو لقب بل جاءت جلية واضحة بما لا يدع مجالا للشك في هذا . ومن الجدير بالذكر ما ورد في أحد النصوص الآشورية أن أحد ملوك الآشوريين قد تلقى الجزية من «برعو» ملك مصر وهذا ما اتفق مع ما ذكر في القرآن من أن «فرعون» اسم علم لكن المختصين قد عمدوا إلى تكذيب هذه الوثيقة ووضع فروض واحتمالات لكي يتخذوا عليها سبل التشكيك والشك .

ولما كان القرآن الكريم دائماً مصدراً لا يعترف به المستكشفون والباحثون فى التاريخ المصرى القديم فقد عمدوا إلى إظهار الكلمة فى غير صورتها التى هى عليها بالفعل ليظل هذا الأمر « بفرعون » وعصره أمراً تائها بين ملوك مصر كلهم أو كما يقولون فراعين مصر .

إلا أننا لو استعنا بالقرآن الكريم لوجدنا شيئاً يهديننا يبين لنا أن هناك لبساً مقصوداً ثم غبنا فيه فإنه بنظره بسيطة إلى ما ذكره الله عز وجل من خبر يوسف عليه السلام لوجدنا حقيقة لا يمكن أن نغفلها قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ... ﴾ [يوسف : ٤٣] .
﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُ أَنْفُسِي ... ﴾ [يوسف : ٥٤] .

فى هاتين الآيتين نرى أن الذى كان يحكم مصر يلقب « بالملك » ولم يكن « فرعون أو برعا » والذى نعرفه أن مصر وقت يوسف عليه السلام كانت ذات خير وإستقرار .

وكانت تنعم بما لم يكن لغيرها فى الجوار بدليل قدوم أهل البادية إليها للتزود من خيراتها ومنهم إخوة يوسف وأهله من العبرانيين والذين عرفوا بعد ذلك « ببني إسرائيل » ولو أن يوسف الصديق كان يرى من أحوال البلاد ما يدل على توتر أو قلق ما قدم بأهله إلى أرض لن ينعموا فيها بما عندهم فى الحضر واكتفى بتزويدهم بما يحتاجون من غلال وبقل وغير ذلك من خيرات مصر .

وما ذكرنا هذا إلا لنرد القول على من يقولون أنه ربما كان يوسف عليه السلام كان فى وقت كانت مصرفيه فى حالة توتر واضمحلال أو إحتلال من قبل آخرين من الدول التى عاصرتها .

من جملة ما تقدم نرى أن الذى كان يحكم مصر هو « الملك » هذه صفته ولقب « فرعون » هو اسم لعلم وليس لقباً .

* العلوم المصرية :

الحضارة المصرية القديمة كانت ولا تزال سرّاً لا يعلم شأنه أحد سوى الله تعالى فالذى يستعرض آثار هذه الحضارة التى خلفتها لنا يري بوضوح مدى الرقى والرخاء الذى نعم به المصرى القديم .

فهذه الأهرامات وما فيها من أسرار وتلك المعابد والمقابر وما تحويه من طلاس أعجزت عقول العالم عن إدراكها والكشف عنها .

ولعل أكبر الأسرار فى هذا الشأن أنه لم يدعى أحد أنه قد وجد بردية أو نقشا أو أى نحت يتعلق بالعلوم التى برع فيها المصرى القديم والذي يتضح مما خلف من آثار وموميאות براعة متناهية فى الطب والفلك والكيمياء والهندسة وغيرها من العلوم .

فالذى نجد دائماً هو نصوص سواء فى البرديات أو على الجدران فى المعابد أو المقابر دائماً ما تكون جنائزیه ذات طابع دينى أو ملكية تتناول الملك والحكم أو حتى أدبية تحكى قصة أو أسطورة شعبية متوارثة أى أنه كان المصرى القديم يهتم بكل هذه النواحي الأدبية وأغفل النواحي العلمية جميعها .

وبالرغم من أنه نجد ما خلفه المصرى القديم من آثار البراعة والانتقان كان السمة الرئيسية فإن الهرم الأكبر يدل على براعة وإتقان ودراية علمية فائقة وواسعه تتمثل فى جميع مظاهر بناء هذه الأسطورة العظيمة من حجم الوحدات البنائية من أحجار ضخمة وبدون استخدام أى من الآلات المتقدمة وزاوية ميل البناء كذلك ما يكمن داخل الهرم من ظواهر تسحر الأبواب وكذلك فى أسلوب البناء ما يدل على براعة هندسية فائقة .

كذلك نجد أن المصرى القديم كان له السبق فى علوم الفلك أيضاً وذلك نراه بوضوح فى معبد أبو سمبل من خلال فتحة صغيرة فى أحد جدرانه تدخل منها الشمس مرة كل عام لتعانق وجه تمثال الملك رمسيس الثانى وعمل تقويم حولى للسنين وغيرها مما تحوي تلك الوثائق كذلك فإن هذا النبوغ لم يقتصر على

الفلك والمعمار والهندسة فحسب فهذه المومياوات والتي تشهد للمصرى القديم بنبوغه فى الطب والكيمياء ذلك من خلال الكيفية التى قام فيها بتحنيط جثث الموتى وجعلها على ذات الحال طوال هذه القرون الطويلة أن ذلك وبحق لدليل على تلك البراعة سواء فى أسلوب التشريح أو المواد التى أضافها للمحافظة على تلك الجثث .

وتلك الألوان التى طلى بها جدران معابده ومقابره والتى لم تزل يظن رائيها أنها لم تدهن إلا بالأمس لتشهد له أيضاً بالبراعة ولكن أين ذهبت كل هذه العلوم ...؟؟؟

ولأن العلوم هى أعمدة الحضارة التى تقوم عليها وركائزها التى تقف فوقها فإنه كان لزاماً أن نجد من وسط كل هذه الوثائق ما يعرفنا بها وكيف كانت الحياة العلمية بل وكيف تطورت .

ولأن هذه الآثار تحوى الكثير والكثير من العلوم فهل كان المصرى يستيقظ من نومه ليجد نفسه يعرف من العلم شيئاً جديداً كل صباح أم أنه كان يكتفى بأن يتناقل هذه العلوم بين الأفراد ومن جيل إلى جيل عن طريق الكلام فقط ولا يدون منها شيئاً .

فإن الذى قام يعمل هذا الثقب الصغير فى جدار معبدا أبو سمبل ليضئ وجه الملك مرة واحدة كل عام قد استغرق منه هذا الأمر جهداً مضنياً ما بين مراقبة فلكية لحركة الشمس ومعرفة زاوية سقوطها فهل كان يقوم بهذه العمليات المعقدة دون كتابتها على ألواح أو ما شابه هذه الحسابات الفلكية يعرف عنها أنها كثيرة التعقيد وأنه لا يمكن التعامل معها دون كتابتها أولاً بأول .

وعمليات التحنيط الم تمر بمراحل التجربة والنظرية ثم التطبيق :

أن الشئ الطبيعى أن يقوم الانسان بتسجيل وتدوين الشئ الذى يخشى عليه من النسيان أو الشئ الذى توصل إليه وكيفية الوصول إليه .

هل كانت كل هذه العلوم بكل تعقيداتها أمراً هيناً على المصرى القديم فلم يجد سبباً ليسجل هذه العلوم وخشى على هذه الحوادث وتلك القصص التى ومن المفروض أن تكون تداولت بين العامة...!!

وبالرغم من أن الذى بقى من آثار هذه العصور حقيقة هى دلائل هذه العلوم ولم تخلف وراءه أساطير أو حكايات نجد أنه بعد هذه المعرفة . باللغة المصرية القديمة وفهم كل هذه الرسوم والنقوش نجد أن كل هذا مجرد قصص وحكايات فهذه قصه «ستوهى» وتلك «قصة الوجود» .

أما هذه فهى لبردية تحكى قصة «الأمير وأقداره» وهذه النقوش «هى ترانيم .. إلخ» هل كان فعلاً ما يهيم المصرى القديم هى تلك الحكايات؟

أم أنه لم تنل أيدي العبث والتخريب إلا كل ما هو متعلق بالعلوم المصرية فى فجر التاريخ؟؟

وهذا يأخذنا لشيء غريب أنه فى ظل عدم معرفة لغة المصرى القديم إذا أفتى أحدهم وقال هذا النقش هو قصة كذا أو ترنيمة دينية تقول كذا أو رسالة تحوى كذا لن ندرك أن كانت هذه الترجمة خطأ أم صواب وصاحبها هل هو صادق أم كذاب .

لكنه إن أتانا أحد وادعى أن فى هذه البردية كيفية حفظ الجثة أو حاسبة فلكية ما فإنه يسهل علينا معرفة أن كان هذا صدق أم كذب بتجربتها عملياً .

* العقيدة والبرهان :

العقيدة فى اللغة هى «مالا يشك معتقده فيه» ويتم التعامل معها وتداولها كمرادف للدين بمعنى أنه «الدين الإسلامى» يمكن جعله «العقيدة الإسلامية» فيعطى ذلك نفس المعنى والعقيدة بالنسبة لصاحبها الذى يؤمن بها ركيزة حياته فلا يساوم عليها ولا يقبل التعرض لها من أى إنسان . فإنه يرى فى عقيدته هذه ما لا يراه بعينه ويدرك بها ما لا يتسع له عقله فتكون له الملاذ وقت الخطر وتكون

له القوة والدافع حيال ما تبقى . والعقائد فى الدنيا نوعان عقائد سماوية وهى تلك التى أنزل الله كتبها على أنبيائه المرسلين والنوع الثانى هى العقائد الوثنية سواء اتخذت آلهة من حجر والمجوسية الذين عبدوا النار وما إلى ذلك ممن اتخذوا غير الله الواحد الأحد آلهة وقاموا بعبادتها .

والعقيدة المصرية القديمة . هى من النوع الثانى الذى اتخذ أصحابه من الأوثان آلهة وعيدوها ونحن نعلم أن كل هذه العقائد ما هى إلا من إختلاف البشر ومن صنع خيالاتهم .

والمصرى القديم كان مثل سائر البشر فى كل مكان ولكن عقيدته التى أظهرتها الكتب والموسوعات لم تكن كائى من هذه العقائد بل كانت حالة فريدة من نوعها فنحن نجد فيها مزجاً غريباً فنرى فيه الوثنية تارة ونرى فيه الصابئة تارة أخرى حتى السماوية نجدها فى طيات هذه العقيدة .

ولكى ندرك ما بالصندوق فلابد من فتحه وتفحص ما بداخله وهذا ما سنفعله فى عقيدة المصرى القديم كما ذكرها الباحثون وعلماء المصريات ونحاول تقصى الحقيقة فيها .

* المعبود :

المعبود هو مصدر العقيدة وحسب كنيته تكون العقيدة والمعبود بالنسبة لقدماء المصريين كان الوثن وعليه فإن المصريين القدماء كانوا وثنيين ومن طبيعة هذه العقيدة أن تتعدد المعبودات أمثال « ست - ايزيس - نفتيس - أوزير - رع - فاعت - آمون - أتون ... إلخ » .

ومن الطبيعى أن تروى عنهم القصص والأساطير التى يتداولها العامة لتزيدهم اعتقاداً فيها وفى ألوهيتها .

ولكنه ظهر فى هذا الشأن أن كان للمصريين معبود غير تلك التى صنعوا لها التماثيل ونسجوا حولها الأساطير هو معبود من نوع آخر فهو إله يعيش فوق الأرض ويكلمهم ويسمعهم يروونه بينهم ويمشى ويأكل ويتزوج وينجب . كان

هذا المعبود متمثلاً فى الملك الذى يحكم . وكان عذا الاعتقاد سائداً فى الدولة القديمة حسب ما ورد فى الترجمات التى للنصوص المصرية القديمة .

كان هذا الاعتقاد فى الوهية الملك مرتبطاً بالملك فإنه كان كل من يعتلى العرش يصير إلهاً ويصير له القدسية التى كانت لسابقه وفى هذا الاعتقاد ما يتناقض مع طبيعة العقيدة الوثنية للمصرى القديم فإن مصدر الاعتقاد الوثنى هو عدم الوجود الحقيقى للاله ويتم التعامل مع تماثيل لتجسد هذا الآله أو ذاك .

ومن خلال هذا اللاوجود الحقيقى للاله يتم نسج الأساطير والحكايات التى تؤخذ كما هى فلا يحدث فيها جدال أو نقاش وتصير قدره الآله هى تلك التى يذيعها الكهان والذى بدورهم يتم النظر إليهم باعتبارهم الصلة بين الناس والآلهة ويكون رضاهم هو رضا الآلهة وغضبهم من غضب الآلهة .

بينما الوجود الحقيقى للاله الملك فى الأساطير والحكايات فإن الملك الآله يستطيع التعبير بنفسه عن رضاه وغضبه ويستطيع أن يعطى فيجزل العطاء ويبطش فيكون شديد البطش ووجوده يحد ويقلل من هذه الأساطير التى والمفروض أن تروى عنه فالرؤية العينية له تجعل الشعب يدرك قدراته الحقيقية ثم أنه كيف للآله آلهة آخر يعبده فقد كان الملك الإله يقيم المعابد للآلهة ويقدم لها القرابين فهو فى هذه الحال يكون مثل بقية الشعب وهكذا نرى أنه لا بد من أن تكون النظرة له باعتباره ملكاً وليس الهأ .

ثم أنه إذا كانت نظره عامه الشعب للملك كإله فإن هذه النظرة ستقتصر عليه عما سواه بمعنى أن هذا هو الآله لا احد غيره وعند وفاته تذهب معه الوهيته ويصير الملك الذى يليه ليس إلهاً ولكن مجرد ملك فقط فهو كان ضمن عامة الشعب يعبد الآلهة .

والاعتقاد فى الوثنيات يكون بأن يتخذ الإنسان حيواناً أو نجماً أو الشمس وما إلى ذلك يتخذه آلهة ويعبده ولكن فى حالة أن يكون المعبود رجلاً سواء كان ملكاً أو غير ذلك فإن هذا لا يكون إلا بأن يقوم الرجل بفرض هذا الاعتقاد لا أن يأتى أحدهم ويقول لآخر مثله أنت إلهى ... فهذا غير منطقى .

وبفرض أن أحد هؤلاء الملوك كان بهذا القدر من الجبروت والقوة فإن هذا لن يستمر في كل الذين يلوه في الحكم ولن يكون لديهم هذا الفكر والأسلوب .

وفي هذا الاعتقاد تظهر ازدواجية العقيدة فإنه في سائر العقائد لم يظهر أن يتخذ الناس آلهة ذات طبائع متباينة فلا المجوس الذين عبدوا النار اتخذوا إلى جوار نارهم آلهة من طين أو حجر ولا عباد النجوم قد اتخذوا آلهة غيرها . وهذا مرجعه لأن هذه الازدواجية تخل بالاعتقاد وتضعفه لدى معتقديه .

* إخناتون

«إخناتون» أو «امنحتب الرابع» واحداً من أشهر ملوك الدولة الحديثة في تاريخ مصر القديم وترجع هذه الشهرة ليس لكونه ملكاً عظيماً أو لانتصارات عسكرية حققها أو لرخاء نعمت به البلاد في عهده بل وعلى الرغم من أن البلاد ظلت تعيش في عهده أسوأ الفترات فقد تزايدت الفتن الداخلية والخارجية على البلاد وفقدت نفوذها على أجزاء منها وانغمست البلاد في هذه الفتنة طوال عهده واستمرت حتى بعد موته فهو لم يقدم شيئاً مفيداً للبلاد بل أنه أضربها ولكنه قد اكتسب هذه الشهرة كما تروى كتب التاريخ من تمرده الذي تفرد به بين ملوك مصر عبر كل مراحلها فكان تمرده هذا على العقيدة فقد نبذ «إخناتون» آلهة المصريين كلها واتخذ من «آتون - قرص الشمس» . إلهاً واحداً يتعبد إليه وأقام له المعابد وقدم له القرابين دون بقية الآلهة حتى أنه تخلص عن اسمه «امنحتب» والذي يعنى «الالهة آمون راضى» واتخذ لنفسه اسم «إخناتون» ومعناه «المخلص لآتون» وهذا أغضب كهنة آمون ودخل معهم في صراع وتناحر حتى انتهى بانتصار كهنة آمون ومصرع الملك اخناتون .

* وهكذا فإن حياة إخناتون من الناحية التاريخية لم تكن ذات شأن ولعل أهم ما خلفه هو نشيده الذى كان يبتهل به إلى «آتون» وقد وجد هذا النشيد في مقبرة «أى» فى تل العمارنة .

ومن هذا النشيد نستعرض بعض ما تواتر فيه عن ترجمة للدكتور /
 عبد المنعم أبو بكر « يا آتون الحى يابدء الحياه »
 « إنك جميل » أنك عظيم .
 « أن أشعنتك تحيط بالارض كلها ولكل شئ خلقته » .
 « وتستطيع أن تجعل كل بلد أسير لك » .
 « إنك الآله الذي دان الجميع بحبك » .
 « والطيور فهى ترفرف تاركة أوكارها وتسبح أجنتها بحمدك » .
 « إنك تعطى الحياه للجنين فى أحشاء أمه » .
 « وإنك تصنع من النطف الرجال » .
 « إنك تهب نسيم الحياه لكل إنسان خلقته » .
 « ما أكرم مخلوقاتك ... وما أكثر ما خفى علينا منها » .
 « إنك جعلت نيلا يهبط اليهم من السماء » .
 « أنت الذى صنعت الدنيا بيدك ... فاحييت حيوانها وكل من يسعى
 فوق أقدامه » .
 « لقد خلقت السماء لتشرق فيها » .
 « ذلك عندما كنت وحيداً » .
 « أنت الوحيد الذى يشرف فى صورته كأتون الحى » .
 « لقد خلقت من نفسك تلك الاشكال التى تعد بالملايين »
 « مدنا وقرى وقبائل وجبالا وأنهارا » .
 « أيها الآله الاوحد لا شبيه له » .
 « ودبرت لكل إنسان ما يحتاجه ... وجعلت لكل منهم أيامه المحدودة » .
 « وليس هناك من يعرفك غير ابنك نفر - خبرو - دع - وع - أن - رع -
 « أخناتون » ..

«الذي يحيا على الحق سيد الأرضين أخناتون – الذي يحيا إلى الأبد .

ومن خلال هذه الأجزاء من نشيد أخناتون يتضح منها حكمة بالغة تحمل بين ألفاظها معانى جميلة تنطق بالحكمة والحق ولعل هذا التشابه بين هذا النشيد وماحوته مزامير داود عليه السلام ما جعل « جيهل هنرى » يقول بأن مزامير داود قد أخذت واقتبست الكثير من هذا النشيد .

إن كان هذا التشابه لم يقتصر فقط على التوراة ومزامير داود عليه السلام فقد تشابه هذا النشيد أيضاً مع آيات كثيرة من القرآن الكريم .

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[آل عمران : ٦]

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [النحل : ٤] .

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦] .

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

[الأعراف : ٨٥]

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[النحل : ٧٩]

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة : ١] .

هذه بعض الآيات التى تتفق مع ما عرف بنشيد إخناتون ومثل هذه آيات كثيرة غير أن المعنى فى آيات القرآن الكريم هو الله عز وجل والذى يقصد فى النشيد هو قرص الشمس «آتون» .

وفى هذه الآيات نرى أن أنبياء الله جميعهم قد توجهوا إلى الله تعالى يعبدونه وحده ويدعون إلى عبادته آلهاً واحداً لا شريك له .

وكذلك تذكر الآيات أن الله تعالى هو الخالق لكل ما فى السموات والأرض وله يسبح جميع خلقه بالحمد والشكر .

وذكر هذا فى كتاب الله أو على لسان أنبيائه أمر طبيعى لأنه هو الذى أوحى إلى الأنبياء بكل هذه الأمور الغيبة فالإنسان لا يعرف أنه قد خلق قبل أن يولد بمعنى أنه من سلالة تبدأ من إنسان واحد خلق ولم يكن له أباً وكل ما يعلمه أنه ولد من أب وهذا الأب من آخر وهكذا ولا يعلم أن كل ما حوله من حيوان وطيور ونبات وحتى الأحجار والصخور تسبح بحمد الله وغير ذلك مما لا يدركه من أمر الغيب .

وجاءت عبادة التوحيد لله وحده عن طريق رسله وأنبيائه لينذروا الناس ويدكروهم بربهم سواء الذين آمنوا أو الذين لم يؤمنوا لأنه الله رب العالمين .

وكانت دعوته الأنبياء إلى عبادة الله تأخذ شكلاً واحداً فى مجملها وهى عبادة الله وحده دون شريك له والاعتراف به ولكونه الخالق الوحيد الذى خلق كل شئ سواء نعلم أولاً نعلم والإيمان باليوم الآخر «يوم البعث والحساب» .

ودائماً ما كانت تصاحب الأنبياء آيات ومعجزات لا يستطيع العقل أن يدركها وذلك لتكون برهاناً معهم يؤيدهم فى الدعوة .

والنظرة التى ينظر بها علماء المصريات إلى «إخناتون» باعتباره حكيماً وفيلسوفاً مفكراً له أفكاره ومعتقداته الحكيمة وكما ذكره نجد التعبير «أول الموحدين» ومحاولة جعله يظهر بصورة نبي يدعو إلى التوحيد فإن كان ذلك فإنها نظرة مخطئة تماماً .

فإننا نصدق القرآن الكريم حين يذكر أن الأرض والسماء وما بينهما سواء كان طيراً أو حيواناً أو جماداً أو إنساناً أو ملائكة يسجدون لله فهو كلام الله الذي لا مرأى ولا ريب فيه .

كما تصدّق أنبياءه جميعاً فيما يبلغون عنه لأنه تعالى اصطفاهم على العالمين وجعلهم رسلاً إلينا فهم لا ينسبون نسباً إلى أنفسهم فإن عيسى عليه السلام لم يقل أنه هو الذى يحيى الموتى ويشفى الأبرص وموسى فهو لم يدعى وحاشاه أن يدعى أنه شق البحر بذاته أو قام بتحويل عصاه إلى ثعبان يمشى بل رد الفعل لصاحب الحق تعالى جل شأنه .

فكل ما ينطق به الأنبياء جميعاً صدقاً فطرة الله التى فطرهم عليها لا تبديل لكلمات الله .

نحن لا نرى الملائكة ولا الجن ولا نعلم ثمّة شئ عن الملأ الأعلى ولكننا نصدق إبراهيم وإسماعيل ويوسف وعيسى وموسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين عندما يذكرون مثلاً أن جبريل قد أتى أحدهم وأخبره شيئاً ما .

لكن «أخنا تون» هذا وإن كان له وجود حقيقى هل كان من هؤلاء الأنبياء هل كان يأتيه الخبر من السماء ويخبره بما لا يعلم ويطلعه على ما لا يدري .

فنحن نعلم أنبياء الله تعالى ونعلم منهجهم في الدعوة ولم نجد أيّامهم اتخذ الله شكلاً لأنه أكبر من كل شئ فلا يتقبل أن تكون له صورة ما لأنه أعلى من إدراكنا وتصوراتنا ومسألة تسبيح الطير والحيوان له لم يكن يعلمها الأنبياء من تلقاء أنفسهم ولكن بوحي من الله ونظرية الخلق التى جاءت فى نشيد اخنا تون وتكراره لها على أن «أتون» هو الخالق وهو الآلهة الأوحى لكل شئ وهذا يتنافى مع ما ذكره الله تعالى فى كتبه أو على لسان أنبيائه فإن نظرية الخلق هذه محسومة لله تعالى ولم تظهر فى أى الديانات غير السماوية فلم يدعى أحد أنه خلق شيئاً بواسطة إله يعبده سواء عبدة النجوم والكواكب أو عبدة الأصنام... إلخ .

وكان دائماً هذا الأمر يرجع لله وحده قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ... ﴾ [الزمر: ٣٨].

وهكذا يستشهد الله تعالى بالذين لا يؤمنون به ذلك لأن مسألة الخلق هي
خالصة لله تعالى ولم تدعى لغيره جل وعلا.

وقضية الوجدانية أو التوحيد التي تظهر في هذا النشيد والتي قيل أن آتون
هو رب الأرض كلها وإله كل الناس سواء القاصي أو الداني هذه أيضاً لم تظهر إلا
في الرسائل السماوية فطبيعة مثل هذه العبادات أن يتخذوا إلهاً لهم يعبدونه
وحدهم ولا يسترضون على غيرهم بعبادته ولا الادعاء بكونه رباً لغيرهم فنجد
في آلهة الاغريق أن لكل مدينة أو قرية إلهاً خاصاً ومع ذلك يمكن عبادة غيره
وكذلك تتناقض منزلته إذا خرج من هذه القرية أو المدينة وكذلك في بلاد
الاشوريين أو العرب أو حتى المصريين فكل هذه العقائد هي عقائد خاصة بفئة
معينة ذات طابع إقليمي محدود.

وهكذا نرى أن اخناتون هذا نسب ما لله إلى غيره ومع هذا ننطق كلماته
ونشيده بالحكمة الإلهية وهنا نعود إلى مقولة « جيمس هزى برستيد » والتي
يذكر فيها أن داوود عليه السلام اقتبس من هذا النشيد الكثير ووضعه في مزاميره
وهذه المقولة مخالفة للواقع ومتنافية مع الحقيقة فإن داوود عليه السلام كان نبياً
رسولاً وكل ما يقوله هو من الوحي الإلهي الذي أنزله الله عليه فإنه لم يأخذ عن
أحد شيئاً أو اقتبس منه وإلا أصبح كاذباً محتالاً وحاشا لله أن يكون داوود عليه
السلام كذلك والأمر كله من خيالات أصحاب القبعات الذين بلغوا من العلم ما
جعلهم لا يدركون الفرق بين الإنسان والقرد ولا الفرق بين رسالات الأنبياء ودجل
المشعوذين وآتو إلينا بكل هذا العلم وصنعوا لنا هذا التاريخ وهذا الـ « اخناتون »
ورؤياه الفلسفية التي هي في الأصل من بنات أفكارهم وأخذنا عنهم ما قدموه
دون أدنى تقص أو تيقن من صدق هذه أو تلك.

البعث والحساب :

البعث هو حياة بعد موت وهذا يعنى أنه بعد انتهاء حياة المرء ودخوله فى عالم الأموات فإن هذا الميت سوف ينشر ويرد إلى الحياة مرة أخرى .

والحساب هو العدد والإحصاء ويكون بعدما للمرء من صالح الأعمال وأيضاً سيئاتها وإحصاءها لمعرفة أن كان من الصالحين أم من الآخرين .

والبعث والحساب كعقيدته هى من أهم ما ورد فى رسالات الله تعالى إلى الناس والتي لا يرتاب فيها مؤمن ولهذا الاعتقاد شروط ودلائل ممن يعتقد فيه .

وقد ذكر وقيل إن المصرى القديم كان يعتقد فى البعث والحساب وقد ظهرت هذه العقيدة فى الكثير من المدونات المصرية القديمة ومنها « متون الاهرام » و « كتاب الموتى » والذى تواترت فقراته على الجدران والتوابيت وفى تلك الفقرات والفصول ما يوضح مكانة الآله « أوزير » وما يجب على المتوفى قوله وما يحدث من محاسبة له وعن العقاب الذى سينزل به أو الثواب الذى سيناله .

ويعد الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى أهم فصوله ففيه يرد ما يستوجب على المتوفى قوله عند دخوله « قاعة الصدق » التى يتم فيها محاسبته .

(سلام عليك أيها الآله العظيم رب الصدق) لقد أتيت اليك يآلهى وجئ بى إلى هنا حتى أرى جمالك ، إنى أعرف أسمك وأعرف أسماء الاثنين وأربعين إلهاً الذين معك فى « قاعة الصدق » هذه وهم الذين يعيشون على الخطئين ويلتهمون دماءهم فى ذلك اليوم الذى تمتص فيه الأخلاق أمام « ونفر » أوزير .

انظر لقد أتيت إليك ، إنى أحضر العدالة إليك ، وأقصى الخطيئة عنك ،

إنى لم ارتكب ضد الناس أى خطيئة ، إنى لم آت سوءاً فى مكان الحق ،

إنى لم أعرف أية خطيئة ، إنى لم ارتكب أى شئ خبيث ،

وإنى لم أفعل ما يحقته الإله وإنى لم أبلغ ضد خادم شراً إلى سيده ،

إني لم اترك أحداً يتضور جوعاً ولم أتسبب فى بكاء أى إنسان ،
إني لم أرتكب القتل ، ولم آمر بالقتل ، إني لم أسبب تعسا لأى إنسان ،
إني لم أنقص طعاما فى المعبد ولم أنقص قربان الآلهة ،
إني لم اغتصب طعاما من قربان الموتى ، إني لم أرتكب الزنا ،
إني لم أرتكب خطيئة تدنس نفسى داخل حرم إله لبلده الطاهر إني لم
أخسر مكيال الحبوب ، إني لم أنقص المقياس ،

إني لم أنقص مقياس الأرض ، إني لم أثقل وزن الموازين ،
إني لم أحول لسان كفتى الميزان ، إني لم اغتصب لبنا من فم الطفل ،
إني لم أطرد الماشية من مرعاها ، إني لم أنصب الشباك لطيور الآلهة ،
إني لم أتصيد السمك من بحيراتها ، إني لم أمنع المياه فى أوقاتها ،
إني لم أضغ سدا للمياه الجارية ، إني لم أطفئ النار فى وقتها ،
إني لم استول على قطعان هبات المعبد ، إني لم أَدْخُل مع الإله فى دخله .

وبالرغم ما نراه فى هذا النص من تشابه بينه وبين ما ورد من تعاليم سواء
فى التوراة أو الانجيل أو القرآن فإننا سنترك هذا ونرى ما هو شرط الايمان والاعتقاد
فى « البعث والحساب » .

وبداية لابد من إيضاح أنه البداية كانت الإيمان بالله فإن آدم عليه السلام هو
أول البشر وبالطبع هو كان من المؤمنين بالله وأن أى إعتقاد أو إعتناق لأى دين غير
الدين الذي دعا إليه آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وعيسى وموسى ومحمد
عليهم الصلاة والسلام هم وسائر الأنبياء والمرسلين يكون هذا الاعتقاد دخيلاً
مستحدث على البشرية ويكون كفراً بالله يستحق العقاب والعذاب الأليم .

ويكون هذا الكفر جحوداً لله وإنكاراً لوحديته بغية أن يهرب ويفر هذا
الكافر مما ألزمه الله تعالى به ويظهر فى هذه المعتقدات عدة ظواهر تكفى إحداها
ليصبح صاحبها من أهل الجهل والكفر وهى :

(١) إنكار وجود الله أو إنكار وحدانيته تعالى « الشرك » وهنا يتمرد العاصي ويظن أنه ما دام هو لا يرى الله فإن الله غير موجود ويتخذ مما تصنع يده أصناماً آلهة أو يعبد النجوم والشمس والقمر أو يعبد شيئاً من الدواب أو أنه يدعى بوجود آلهة أخرى مع الله حتى يجعل كما يظن الأمر ليس لله وحده وهناك آخرون يشاركونه فيه .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠] .

(٢) إنكار القيامة وعدم الاعتراف بيوم الحساب قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزْقٍ إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ [سبا : ٧ ، ٨] .

وهنا نجد أن الله تعالى أسماهم « الكافرون » لمجرد أنهم سخروا من النبي وأنكروا يوم البعث والحساب مع أنهم يعلمون أن الله ربهم في قولهم ﴿ افترى على الله كذباً ﴾ وحكم عليهم بالعذاب لعدم إيمانهم باليوم الآخر فقط .

(٣) إنكار نبوة الأنبياء والمرسلين وهذا لأنهم لا يريدون من يذكرهم بآلاء الله ربهم وليتخلصوا من الواجبات والفرائض التي يحملها المرسلون وكانوا يتعللون بأى شئ حتى لا يؤمنوا بالنبي وما يحمل من رسالة قال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود : ٢٧] .

(٤) نراهم أيضاً يحرمون الحلال الذى أحله الله ويحلون ما حرم الله فنرى

منهم من يحل الزنا وشرب الخمر والربا وأكل الميتة والدم وحتى أكل الانسان نفسه وما إلى ذلك .

هذه هي أهم المظاهر التي يتصف بها الذين لا يؤمنون بالله تعالى .

أما شرط الاعتقاد في البعث والحساب فهو الإيمان بأن هناك نهاية لكل هذه الحياة لكنه هناك من سيبقى بعد هذه النهاية ليحاسب المرء وإذا كان هناك بداية فإنه الذي سيبقى بعد النهاية لابد أن يكون هو ذات من يكون قبل البداية فيكون هو «الأول» ولا شئ قبله وهو «الآخر» فلا شئ بعده وهكذا يكون هو «الحى» دائماً ولا يموت .

وإن كان هو الأول قبل كل شئ فإنه هو «الخالق» لكل شئ و «الواجد» لكل موجود بمعنى أنه لم يلد شيئاً أو يزرأ عن ذاته شيئاً لأنه إن كان هناك من تولد منه أو ظهر منه فإنه سيحمل صفاته ويكون مثيلاً له ولا تكون هناك بداية أو نهاية لذا لابد أن يكون كل هذه المخلوقات والموجودات لا تتصل به فى شئ ولا تحمل من ذاته صفة أو ما شابه .

وما دام هو «الموجود» قبل كل موجود وهو «الواحد» الذى لا ثانى له فهو «القادر» على كل شئ لأنه هو الذى أو جده وهو القوى» الذى لا يقدر عليه أحد وهو «العزیز» الذى لا يذله أحد .

وإن كان هناك حساب فهو «الحاسب» الذى يحاسب ولا بد أن يكون «السميع» و «البصير» و «العليم» بكل ما يفعله خلقه ليحاسبهم على أفعالهم ويلزم أن يكون «الحكيم» «الرشيد» الذى يميز الأفعال الحسنة من السيئة .

فمن ذا الذى يتصف بهذا كله غير الذى فطر السماوات والأرض الله الذى لا إله الا هو الرحمن على العرش استوى .

ولأهمية الاعتقاد فى اليوم الآخر يوم البعث والحساب نجد أن الله تعالى قد أكثر من ذكر هذا اليوم والتأكيد عليه واعتبار الإيمان به هو شرط للإيمان الحقيقى

بالله تعالى وقد ذكر الله تعالى أن أكثر شيء قوبل بالرفض والإنكار من الكافرين وأكثروا الاعتراض والسخرية منه هو الإيمان بيوم القيامة وكان أيضاً برغم هذا الإنكار كان حجة للأنبياء على الذين لا يؤمنون.

ومن هذه الآيات التي ذكر الله فيها يوم القيامة والبعث والحساب والنشر:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]. وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢] وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [التوبة: ١٨].

وقوله جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَشْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٤]. وقوله: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]. وقوله: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ١٠]. وقوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [سبا: ٢١].

هذه بعض الآيات التي ذكر فيها اليوم الآخر يوم البعث والحساب وهناك

آلاف الآيات التى تتعرض للآخرة سواء فى أهمية الاعتقاد فيها وأيضاً مشاهد يوم القيامة وكذلك الجزاء الذى ينتظر الصالحين والعقاب الذى أعده للكافرين .

ومن خلال هذه الآيات نرى أن المؤمن الحق يكون مستيقناً فى الآخرة فلا يدخل فى قلبه شك فيها ونرى كذلك أن الله تعالى قد ذكر الإيمان بالآخرة وحده كدليل على الإيمان الكامل بالله تعالى وكذلك فإن إنكار البعث والآخرة والكفر بها هو الكفر الذى لا كفر بعده وأن الذى فى قلبه شئ من شك أوربية فى الآخرة هو ممن اتبع الشيطان فأضله عن سواء السبيل .

وهكذا يتضح مكانة الإيمان بالآخرة والبعث والحساب عند الله تعالى فإن هذا الكم الهائل من الآيات فى القرآن التى تتحدث عن الآخرة والبعث والحساب والحشر والنشر وكذلك التى تتحدث عن ثواب المؤمنين وعقاب المجرمين جاءت هذه الآيات للتذكيرة والتعزيز والوعد والوعيد ولإبراز هذه المكانة فى الدين .

وهنا نريد أن نعرف ما هو مدى إعتقاد المصرى القديم من البعث والحساب وبالتنظر إلى ما ورد فى الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى فإننا نرى أنه قد تبرأ من كل الذنوب والمعاصى ويدرك عن نفسه القتل والزنا والسرقة والغش و... إلخ وأيضاً يعلم أن هناك إلهاً من الآلهة يراقبه ويعد عليه أفعاله ليحاسب فى العالم الآخر أى أنه إن كان على هذه الحالة وهذا الاعتقاد فلا بد أنه سيقدر هذا الإله وحده ولا يعبا بالآخرين لأنه سيذهب فى النهاية إلى هذا الإله ويصبح هؤلاء الآلهة الآخرون غير ذوي شأن عنده فإنهم لا يملكون منه شيئاً إلا فى الدنيا الفانية والحياة القصيرة التى ستنتهى قريباً أما هذا الإله فعنده الحياة الدائمة الأبدية التى لا نهاية لها .

إذن فلماذا كفر المصرى القديم بالله تعالى ولماذا يكلف نفسه عناء اختلاف هذه القصة من الأسطورة عن الآلهة ولماذا لم يكن هذا الإله الذى يحاسبه ويأمره بكل خير ومعروف لماذا لم يكن هو الله الواحد الأحد فإنه طبقاً لما ورد لا يقترب

معصية ويعلم أن بعد هذه الحياة حياة أخرى فيها الحساب والنعيم للصالح والعذاب للكافر

أى أن طبيعة الاعتقاد الوثنى للمصرى القديم تتعارض مع الإيمان بالبعث والحساب والاعتقاد فيه وأن كل ما قيل عنه أنه شئ فى العقيدة ليس بالسليم والصحيح ولكى نبحت فى هذا الأمر لإدراك الصواب من الخطأ فلا بد من مصدر موثوق فيه لا يأتية الباطل أبداً ولنتأمل ما قد ذكره الله تعالى فى محكم التنزيل القرآن الكريم ونرى ما ورد فيه فى شأن هذا الاعتقاد فى البعث والحساب وأول هذه الآيات ما ذكر فى سورة يوسف الآية ٣٧ قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيَكُمُ طَعَامٌ تُرْزَقَانَهُ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧] هنا يوضح لنا المولى عز وجل على لسان نبيه الصديق يوسف عليه السلام أن هؤلاء المصرين لم يكونوا ممن يعتقد فى البعث والحساب وحياة ما بعد الممات وجاء اللفظ ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وتكرارهم فيه يدل على التأكيد.

وتأتى هذه المواضع التى توضح عدم اعتقاد المصرى القديم فى البعث والحساب ما ورد فى الذكر قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

وهنا يجئ اللفظ الصريح على لسان موسى عليه السلام ينكر انهم يؤمنون بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].

وقوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾

[غافر: ٣٩]

والقول الأخير جاء على لسان الذى آمن من آل فرعون إذ أخذ يحثهم على الإيمان بالله وأن يتركوا الرسول «موسى» عليه السلام يدعو لدينه وأن يطيعوا الله فكان يذكّرهم بهذا البعث وذاك الحساب وجاءت الآيات لتوضح أنهم لم يؤمنوا ويصدقوا ما ذكرهم به.

قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكُرُوا وَحَاقَ بِالِإِثْمِ كِبَرُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

وهنا شهادة من الله تعالى صريحة تنكر هذا الاعتقاد فيهم وأنهم لم يكونوا يعتقدون في الآخرة جاءت الشهادة في سورة الدخان في الآيات ٣٤، ٣٥.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ

بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٤، ٣٥]. هكذا نرى أن كل ما ورد في القرآن الكريم في شأن الاعتقاد والعقيدة لدى المصري القديم كان لا علاقة له بالمرءة في البعث والحساب وأنهم كسائر الذين ضلوا يعتقدون في أن هذه الحياة هي حياتهم الأولى والآخرة ولا بعث ولا نشر ولا حساب وفي حين أن التاريخ لم يذكر في شأن العقيدة المصرية القديمة اعتقادهم في وجود الله تعالى وأنهم لديهم بقية من علم قديم بالذي فطر السماوات والأرض نجد في القرآن ما يدل على علمهم القديم وشئ من ذكر قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فُلْمًا رَّاَيْنَهُ أَكْبَرُ مِنْهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وهذه الآية مما ذكر المولى عن قصة يوسف عليه السلام وحادثة أمره العزيز معه وهؤلاء النسوة اللاتي قطعن أيديهن هن من نساء مصر وفي قوله ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ على لسانهن ما يؤكد أنهن لديهن علم سابق بالله تعالى مع كونهن لسن من المؤمنات حقا بالله أى أن حالهن وحال جميع المصريين مثل حال أهل جزيرة العرب يعلمون بوجود الله تعالى ويشركون معه آلهة أخرى وثنية ولم يكن الإيمان خالصاً في قلوبهم ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[يوسف: ٣٣]

وهنا نرى أن الغواية لم تكن من امرأة العزيز وحدها ولكن انضم إليها

أولئك النسوة وأردن غوايته أيضاً وفي هذا نرى أن الإيمان الحقيقي لم يكن لديهم ولكنه لم يرد عن علم قديم بوجود الله .

وهذا العلم لم يكن إلا مما تبقى من خبر الصالحين والأنبياء السابقين ولم ينقل هذا العلم عن المصريين فهنا نرى أنه في وقت كان يوسف عليه السلام في مصر كان موجوداً وبعده استمر هذا العلم حتى موسى عليه السلام ثم أنه استمر حتى مجئ عيسى المسيح عليه السلام وانتشار النصرانية بها ومنها انطلقت إلى سائر شعوب الأرض وبعد النصرانية دخل الإسلام إلى مصر وصار هذا العلم القديم عقيدة وإسلاماً حقيقياً لله .

وحقيقة الإيمان بالبعث والحساب أنه رأس الغيب ولا يؤمن ويعتقد فيه إلا المؤمن الحقيقي بالله ولا سبيل إلى الإيمان به سواء عن طريق الاستدلال المنطقي أو التأمل الفلسفي أو غير ذلك ومن أساليب الفكر الانساني فلا دليل إليه مما نعرف من شئون الحياة وما كانت الأمثلة التي ضربها الله في القرآن إلا ليبين لنا مقدرته . ولتكن لنا آيات ونذر أما البعث والحساب فهو عند الله تعالى حق عن صدق وأحسن به هو المؤمن ومن كفر به كان من الضالين .

هنا يتوقف القلم ليستريح من عناء البحث في عملية النصب هذه بعد ما رأينا أن كل ما حصلنا نحن عليه من هذه الحضارة المزعومة مجرد قصص وحكايات لا سبيل لمعرفة مدى الصدق فيها دون معرفة شيء حقيقي عن حياة مصر في هذه الفترة .

ووجدنا أن الأمر كله محل شك في أغلبه وما تبقى لا أساس له من الصحة فإن الأمر من أول فهم ومعرفة لغة المصري القديم إلى ما أشيع بصفته حضارة مصر مجرد أوهام من خيالات أصحابها .

وغياب كل ما نعلم أنه حقيقي من هذه الحضارة عن التاريخ والحضارة المزعومة محل شك وريبة في كل ما قدم بصفة تاريخ مصر .

واختلاف ما ورد من أخبار في هذه الحضارة وهذا التاريخ عن الذي ذكر في القرآن الكريم ليس مجالاً للشك في كذبه وعدم صحته .
وللحديث بقية

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة.....
٥	فى فهم اللغة
٦	اللغة.....
٨	قواعد اللغة وأصولها.....
١٠	الأصوات المسموحة.....
١١	الصياغة الخاصة.....
١٣	حجر رشيد.....
١٥	شامبليون.....
١٦	طريقة المقابلات الخطية.....
٢٠	اللسان الخشبى.....
٢٥	الحضارة المصرية والأثر الإغريقى عليها.....
٣١	أين يوسف وموسى من تاريخ مصر.....
٣٤	تاريخ صناعة يهودية.....
٤٠	فرعون.....
٤٣	العلوم المصرية.....
٤٥	العقيدة والبرهان.....
٤٦	المعبود.....
٤٨	اخناتون.....
٥٤	البعث والحساب.....
٦٣	الفهرس.....

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٢٦٣٢